عن الإسلام لأنها حسب القرار البكري قد "فرّقت بين الصلاة وبين الزكاة"، وهو أمر فيه نظر من وجهة نظر الشرع لا تبيح قتالهم ولا قتلهم. لذلك تم تدعيم القرار بان تلك القبائل قد خرجت على رأي الجماعة وخالفته وهو اختراع آخر كان كفيلا بوصمها بالارتداد منذ ذلك التاريخ وحتى اليوم.

وهكذا، ومنذ فجر الخلافة جلس الفقيه في معية السلطان يصوغان لنا إسلامنا، إسلام يؤسلم ويكفّر حسب مدى التزام المواطن بالمذهب السيد الذي هو مذهب السدنة والسلطان وأولي الأمر، وطاعتهم أمر رباني وفرض سماوي. ومنذ خرجت جيوش أبي بكر تحارب تاركي الزكاة تحت اسم الدين والصواب الديني، أصبح معنى أن تخرج جيوش المسلمين لتحارب الكفار "غير حروب الفتوحات"، إنها خارجة للقضاء على المعترضين أو المخالفين في الرأي السياسي الذي تتم إحالته إلى الدين، حتى يتم الذبح والحرق والسبي بإسم الدين وليس لخلاف سياسي.ونظرة عجلى على تاريخ العرب المسلمين ستكتشف أن مقابل "وامعتصماه" الأسطورية، ألف "واسلاماه" كان جوابها مختلفا.

وبلغ الأمر غاية وضوحه في زمن عثمان بن عفان الذي فتق بطن عمّار بن ياسر ضربا وركلا، وكسر أضلاع ابن مسعود حب رسول الله، ونفى أبا ذر إلى الربذة، فقتل المسلمون خليفتهم، وتم قتله بيد صحابة وأبناء صحابة. ومن بعدها خرجت الفرق الإسلامية تحارب بعضها بعضا وتكفّر بعضها بعضا، حتى مات حول جمل عائشة خمسة عشر ألف مسلم، ومن بعدهم مائة ألف وعشرة من المسلمين في صفّين، لا تعلم من فيهم من يمكن أن نصفه بالشهيد ومن فيهم من يمكن أن نصفه بالظالم المفتري!

كما يشير سليم ردة لدى بعض الشعوب الى ديانها القديمة ووقعت مجازر في التاريخ قل نظيرها ويعتبر سليم ان الفضل في تحول العديد من البلدان الى الاسلام فيما بعد الى نشاط الدعاة والمبلغين المسلمين لا الى عمل الفاتحين الذين امتاز اغلبهم والكلام لسليم بالرعونة وحب الظهور واذا كان خالد بن الوليد قد قتل صحابيا مثل مالك بن نويرة واصحابه المؤمنين بالرسول وزنى بزوجته بعد قتله فانه وجد في الدولة من يستنكر عمله وكان منهم وزير الخليفة ومهندس سياسة

الدولة الاسلامية انذاك عمر بن الخطاب الا ان الفترات اللاحقة لتلك المرحلة قد شهدت ممارسات مؤلمة جدا يندى لها الجبين في تاريخ المسلمين من نهب وسلب واسر لا رادع له ولا مبرر فالقائد الاسلامي موسى بن نصير حين غزا افريقيا والكلام لسليم الذي لم يعتره فتح بتاتا اسر 300000 من الناس ارسل خمسهم الى الخليفة الاموي في دمشق. وهذا القائد نفسه عاد ب30000 فتاة عذراء عندما عاد من الاندلس "فاتحا"[1] وكانت هؤلاء الفتيات يذهبن طبعا الى قصور الخلفاء وحواشيهم من المترفين والمتخمين بالاموال من اجل المتعة بالمتاع الجنسي.

واذا نظرنا الى النظام الضريبي الذي طبق في تلك البلدان المفتوحة عنوة كما يقول سليم فاننا نجد عجبا فكانت السلطة تفرض الجزية على بعض الشعوب التي اسلمت خوفا من نقص الاموال الواردة لجيوب السلاطين وكانت السلطة تفرض ضريبة على عيد النوروز في بلاد فارس وكان الخليفة يوصي قواده الزاحفين بالرعب على الشعوب بان يستصفوا له كل بيضاء وصفراء وهكذا .....وهذه الاشارات كثيرا ما اشار اليها مفكروا العصر الحديث كالقمني وهادي العلوي وعلي الوردي ونصر ابو زيد والكثير ممن يعتبرون مفكري العصر الحديث لم يقوموا بالاشارة اليها. واشارة سليم الخطيرة هذه الى تراث المسلمين انما تدعو الى غربلة التراث والحذر من جميعه والاخذ من التراث الجانب التنويري الذي ركز عليه سليم كثيرا من خلال رؤيته للنصوص.

ويعتبر سليم ان تجربة علي بن ابي طالب في استيفاء الاموال من الناس تجربة رائدة تفرق كثيرا عن النظام الضريبي الاقطاعي الراسمالي الذي مارسه المسلمون تجاه الشعوب التي غزوها عنوة ونظامه كان يشمل الامور التالية:

ـ تنمية المصادر المالية مقدم على استيفاء الضرائب:

حيث يعتمد عليا على مبدأ اقتصادي مفاده ان تنمية المصادر المالية ودعم الانتاج وتوفير الفرص لنمو الثروة وتعدد مصادرها يشكل الارضية المتينة للنمو

---

[1]- هذه الارقام ينظر فيها الكامل لابن الاثير ، مجلد 4-5

الاقتصادي وزيادة الانتاج واتساع رقعة دعم الموازنة ويذكر نصا يؤيد هذه المسالة عن علي بن ابي طالب "وتفقد امر الخراج بما يصلح اهله ،فان في صلاحه وصلاحهم صلاحا لمن سواهم، ولا صلاح لمن سواهم الا بهم لان الناس كلهم عيال على الخراج واهله وليكن نظرك في عمارة الارض ابلغ من نظرك في استجلاب الخراج، لان ذلك لا يدرك الا بالعمارة ومن طلب الخراج بغير عمارة اخرب البلاد، واهلك العباد،ولم يستقم امره الا قليلا، فان شكوا ثقلا او علة او انقطاع شرب او باله، او احالة ارض اغتمرها غرق او اجحف بها عطش خففت عنهم بما ترجو ان يصلح به امرهم ،ولا يثقلن عليك شيء خففت به المؤونة عنهم فانه ذخر يعودون به عليك...الخ"

ـ الاهتمام بتربية الوازع النفسي لدفع الفائض من الاموال كضرائب:

فقد اهتم عليا بالدافع الذاتي للناس لدفع ما عليهم من حق لبيت المال، فلا اكراه لاحد على استيفاء الحقوق ولا اضرا ر بانسان كائنا من كان ،ولا ارهاب لمخلوق ولا تجاوز، اشعارا للناس بكرامتهم ومكانتهم، ويضرب سليم امثلة نصية على ذلك.لسنا بصددها دفعا للاسهاب.

فالمعارضة في فكر علي تمت صيانتها تماما اذا ما بقيت تعمل في الاطار السلمي ضمن القانون العام تحترم دماء الناس واموالهم واعراضهم ولا تحمل لواء الخروج والبغي على سلطان المسلمين وانما تباشر النقد والاعتراض والتظاهر والتجمعات وجمع الانصار والاستفادة من الاعلام والتثقيف ونشر الافكار ورفع الشعارات وما الى ذلك، فان حقوقها المالية مصونة كغيرها من مواطني الدولة وحتى قتاله لمن بغي على خلافته كان انطلاقا من انه لم يبتدأهم بقتال وانه قاتلهم لانهم اصبحوا يشكلون قوة خطر على الناس وليس عليه شخصيا حسب تحليلات سليم الواقعية للتراث. فكان حتى اخر اللحظات يريد الحوار مع خصومه وليس ادل على ذلك من رؤيته وحواره مع الزبير قبل معركة الجمل الحوار الذي انتهى بترك الزبير للمعركة واستمرارها من قبل الخصوم الاخرين.وحتى في قتاله كان يحاول قدر الامكان السيطرة على حقوق الانسان من باب احترام النساء والاطفال وعدم الاجهاز على جريح وغيرها مما ورد في التاريخ والذي يسهب بذكره سليم. كما ويذكر سليم معارضة علي للخلفاء بسبب احقيته بالخلافة

كما ينظر لها علي كحق له فيها ولكنه وعلى الرغم من اعتقاده بان الاحق في الخلافة الا انه كان متسايرا مع امر الدولة وذو علاقة وثيقة معهم كما يشير الى ذلك وبالادلة التاريخية عز الدين سليم مما يعيطي صورة على حرص المفكر سليم على الا تسيس القضايا التاريخية وتدخل الى جانب الانحيازات العاطفية فمنهجه اظهار الحقيقة فهو ليس كغيرهم من مفكري الشيعة الذين ينكرون اي علاقة طيبة بين علي وعمر على سبيل المثال في حين سليم يذكر العلاقات الطيبة بينهما والاستشارات الكثيرة التي وصلت الى خوف علي على عمر من ان يخرج في حرب الروم ويقتل وكما يذكرها سليم: "فابعث اليهم رجلا مجربا واحفز معه اهل البلاء والنصيحة ،فان اظهره الله فذاك ما تحب، وان تكن الاخرى، كنت ردءا للناس ومثابة للمسلمين"[(1)] حيث يعتبر عليا ان عمر كان مرجعا للمسلمين وهذه مسالة غاية في الاهمية تدلل على الروح الانسانية التي تميز بها علي تجاه الاخر، وبالتالي فان سليم يذكر ما له وما عليه وهذا السبب جعل الكثير من فقهاء الشيعة لا يذكروه بخير بسبب رؤيته للاخر واحترامه لرموز الاخر من يكن هذا الاخر.

والحل السياسي الانساني الذي اعطاه سليم في سبيل توحيد العراقيين توحيدا رائعا في مضمونه بالاتفاق على صيغة دستورية لحقوق العراقيين عموما تشخص حقوق الناس السياسية والثقافية والاقتصادية وما اليها عموما وتسمي الاشياء في هذه الوثيقة باسمائها دون تزييف او دوران فتعالج المسائل القومية بوضوح في ضوء مصلحة العراق ومصالح العرب والاكراد والتركمان وتحدد حقوق الطوائف وقد تحدثنا بشكل اساس في قضية التعددية ضمن منهجية سليم كما يدعو سليم الى ان تحدد حقوق الطوائف الدينية والمذاهب الاسلامية كل حسب نسبته في التركيبة السكانية. ويطالب كذلك بصيانة جميع حقوق الطوائف في العراق وشعائرهم الدينية ضمن تعدديته الثقافية ومنهجيته الانسانية وان تصان دور العبادة للجميع واماكنهم التي يتدارسون فيها .

---

[1]– نهج البلاغة.

سابعاً: حقوق الانسان في نظر سليم وانعكاساتها السياسية

ومن هذا المنطلق يعتبر سليم رائدا كبيرا في مجال حقوق الانسان والدعوة اليها فهو يؤمن بالنص الديني الاسلامي المحافظ على الحقوق فيشخص الحقوق التالية في الاسلام ويدعو الى اهمية تطبيقها:

- رفض التطرف القومي والعنصري: عدم تفضيل قوم على قوم لدوافع عنصرية. او دوافع الدم او اللغة في خريطة الوجود الانساني.
- عدم التمييز القزمي الشوفييني:
- التاكيد على قراءة الاسلام بشكل يؤكد قدرته على توفير الارضية لاقامة وحدة انسانية كاملة تراعى فيها حقوق الامم واللغات والاقوام والالوان دون ادنى تمييز، الرفض الواضح من قبل سليم للتمييز الذي وقع على اساس اللون والقومية في التاريخ الاسلامي وخصوصا في العهد الاموي مما يؤكد قراءته للتاريخ بصورة نهضوية.
- مناقشة الاسلام للحرية الدينية وتاكيد الاسلام على الحوار مع اصحاب الاديان الاخرى.
- موقف الاسلام من الارهاب الفكري والتعدد في حياة البشر.
- رفض الارهاب الطائفي.

ما هو موقف الاسلام من تكفير الاخرين وموقف سليم من الكفر واضحاً تناولناه فيما سبق بان الكفر ليس معناه الكفر بالاسلام بل الكفر بفرض الاسلام.

تناول سليم لحرية الاجتهاد والراي انطلاقا من الاسلام

وفيما يخص قدرة الاسلام على توفر منهجية خاصة بحقوق الانسان فيعتبر سليم ان الرسالة الانسانية هي القادرة على تبني حقوق الانسان وانه وبغير هذه الرسالة لا يكون هنالك قدرة حقيقية للاسلام ولا لغيره من الاديان وفي هذا الباب

يقول " لا تكون اي رسالة ذات بعد انساني كامل، الا اذا هيأت الفرص الكافية لنمو طاقات الانسان وحاجاته الطبيعية كلها ،مع الاحتفاظ بحالة التوازن الكامل بين هذه الطاقات والنوازع الاخرى ،فلا تنكر لطاقات الانسان، لحساب الطاقات الاخرى ولا انماء لحاجة طبيعية لدى الانسان على حساب اخرى "[1] فالواضح قياس الاسلام وغيره من الاديان بمدى تقبله لحقوق الانسان. ويقارن سليم بين الاسلام وبقية المناهج الدينية والفكرية في خصوص الاعتناء بحقوق الانسان، ويعتبر سليم ان الاسلام برسالته الحقيقية اعترف بالانسان بالكامل اما الديانة المسيحية فلا تعتني في نهجها التربوي وفي فلسفتها الاجتماعية الا بالامور المحصورة في اطار الروح ولذا فانها لاتهتم الا بالطقوس العبادية وبالتوجيهات الاخلاقية التي تدور في اطار الفرد اما ديانة اليهود الحاضرة فهي تشكيلة من الضوابط التي تركز على الجوانب المادية من طاقات الانسان الى حد بعيد.

ويكاد كلا المفكرين محمد اركون وعز الدين سليم يتشابهان تماما في نظرتهما لحقوق الانسان وان الاسلام لم يعدم حقوق الانسان وانه ورد في تاريخنا التنويري شواهد كثيرة على ذاك ومن هنا يعتبر المفكر البارز أركون انه لا زالت نظرة الغرب للإسلام تعتبر أن الدين الإسلامي يرفض الحداثة وحقوق الإنسان ويشجع العنف والإرهاب.

ولقد ساهم المثقفون المسلمون في ترسيخ هذه النظرة، على الأقل لكونهم لم يعملوا فعلا وفعليا على تفنيدها. وفي واقع الأمر فان العالم العربي والإسلامي استفاق من نومه التاريخي على الأمجاد الغابرة وراح يعاين تخلفه عن الركب بعد اكتشافه أو إعادة اكتشافه لحجم الهوة التي تفصله عن الغرب على صعيد التقدم المادي والصناعي والتكنولوجي وعلى صعيد الفكر والعلم وقيم المجتمع والحريات وحقوق الإنسان.

---

[1]– عز الدين سليم، مقدمة في حقوق الانسان من وجهة اسلامية ، رسالة الرافدين.

لكن الإسلام عمل على تأسيس أرضية لحقوق الإنسان ومنذ بداية البدايات. فالله خلقنا أحرارا ولا يمكن قبول العبودية لخدمة أغراض مهما كانت سياسية أو غيرها. بل إن البوادر الأولى لحقوق الإنسان متضمنة في الديانات التوحيدية (اليهودية والمسيحية والإسلام). إلا أن البشر انحرفوا عنها بسبب صراعات التاريخ أو فسروها بشكل مغلوط وقسري وضيق.فمسيرة البشر عبر التاريخ مليئة بالصراع والتنافس والتناحر على السلطة والثروة والسيطرة والنفوذ. وإذا كان لابد من الاعتراف أن حقوق الإنسان والمواطن بالصيغة المعلن عنها من طرف الثورة الفرنسية سنة 1781 تمثل طفرة نوعية في تاريخ البشرية، فهناك رأي يقول أن حقوق الإنسان بالمعنى الحديث المتعارف عليه كانت موجودة في الإسلام منذ قرون وبشكل كامل ولقد جاء في الإعلان الإسلامي العالمي لحقوق الإنسان المعلن عنه سنة 1981 أن هذا الإعلان قد بلور من قبل كبار علماء المسلمين وأساتذة القانون وممثلي مختلف حركات وتيارات الفكر الإسلامي. في حين أن المواد الثلاث والعشرين التي تشكل هذا الإعلان ترتكز على الآيات القرآنية الحديث النبوي. ومن المبادئ التمهيدية المرتكز عليها نجد - أن الإسلام قدم للبشرية قانونا مثاليا لحقوق الإنسان، وذلك منذ أربعة عشر قرنا من الزمن -حقوق الإنسان هذه متجذرة ومنغرسة في القناعة الراسخة بأن الله عز وجل هو وحده مؤلف القانون وأصل كل حقوق الإنسان.

نظرا للأصل الإلهي لهذا القانون (حسب اركون) وهذا مما نختلف به معه فلا اصول الهية لقوانين وضعية.

فلا يمكن لأي زعيم سياسي وأي حاكم أو أي هيئة أن يلغي أو ينتهك أو يغير حقوق الإنسان التي وهبها الله له. ومهما يكن من أمر، فان محمد أركون يعتبر أن الإعلان الاسلامي العالمي لحقوق الإنسان، على الرغم من كل الانتقادات الموجهة لطابعه الاحتفالي والشكلاني، فانه يحمل في طياته لغة قانونية حديثة.

ولذلك وجب التساؤل حول البعد التاريخي للمشكلة. وهذا البعد في نظره يخص العلاقة بين الدين الإسلامي المفهوم الحديث لحقوق الإنسان المصاغ من طرف

الثورة الفرنسية.من الأكيد أن البلورة الأساسية الغربية لحقوق الإنسان لم تحصل إلا عامي 1789 و 1948 حيث صدر الإعلان العالمي لحقوق الإنسان. لكن ماذا نجد في القرآن الكريم بخصوص الإنسان وحقوقه؟ فهناك إجماع على أن معنى "مسلم" هو الخاضع لله والذي سلم نفسه له.

وكلمة مسلم معناها عام وشامل وواسع، انه يعبر عن العلاقة الروحية للإنسان مع الله، أي، بلغة اليوم، أن هناك ميثاقا يربط الخالق بالمخلوق، وهو مبني على إرادة الله عز وجل في منح الإنسان لمكانة متميزة بين المخلوقات كلها. والله تعالى وعد الإنسان بالحياة الأبدية إذا ما نفذ تعاليمه في حياته الدنيوية.

والإنسان مع ظهور الإسلام عرف ترقية حقيقية قياسا لما كان عليه في الجاهلية، و حقوقه كانت أكثر تقدما مما كانت عليه من قبل وعلى مختلف الأصعدة.

وفي الحقيقة إن ظهور الإسلام جعل الشعوب يدخلون في دائرة الحداثة الروحية والعقلية آنذاك، بمعنى الدخول في حركة التاريخ. وقد تحقق ذلك بالفعل على يد محمد بن عبد الله، بواسطة القرآن، بين طريق النجاة والخلاص. إذن منذ ظهور الإسلام برزت بذور تحرير الشرط البشري وترقية الإنسان. وهناك آيات كثيرة تركز بشكل خاص على ترقية الإنسان وعلى القيم الأخلاقية والروحية الواجب التقيد بها لكي يستحق الإنسان الرفعة والدرجة العالية التي حباه الله بها فجعله خليفته في الأرض.

وفي هذا الصدد، يؤكد أركون أن الإعلان الإسلامي العالمي لحقوق الإنسان هو في الحقيقة غير نابع من القراءة للتعاليم المركزية أكثر مما هو محاكاة قانونية للإعلان الغربي لتلك الحقوق. ونصه يخلع الرداء الإسلامي بمفرداته و صياغاته التعبيرية على الممارسات السياسية والمؤسسات الحديثة والممارسات القانونية المستعارة من الغرب. فحسب محمد أركون، إن الهوة التي تفصل المسلمين اليوم عن تراثهم الخصب والمبدع في العصور الكلاسيكية،تمثل مشكلة حقيقية بالنسبة لتطورهم الراهن. فلو أنهم يعرفونه جيدا أو يقدرون على قراءته جيدا لاستطاعوا أن يعثروا على نقاط ارتكاز صلبة ينطلقون منها بكل ثقة للتفاعل مع الآخر ويستفيدون ويفيدون.

وقد أكد أركون أن العرب المسلمون استطاعوا مواجهة التحدي الحضاري في العصور الأولى للإسلام عندما خرج من بين ظهرانيهم النبي وأدخلهم في حداثة ذلك العصر وفتح لهم أبواب التاريخ.

وفي نظر أركون أن ما يعرقل مسألة حقوق الإنسان في المجتمعات العربية الإسلامية هي طبيعة الأنظمة السياسية طريقة نشأتها وتركيبها بعد الاستقلال. فهي التي في نظره تعرقل عملية تطبيق الحد الأدنى من حقوق الإنسان واحترامها.

وحسب أركون فان أول خطوة لابد من القيام بها هي إعادة قراءة عملية وصيرورة تشكل القانون الإسلامي (الشريعة).

وعموما يتصور أركون القانون الديني بصفته تفويضا انطلاقا من نص ديني، وهكذا يتصور أن الأحكام الناتجة عنه كأنها إلهية، وبالتالي فلا يمكن لأية سلطة بشرية أن تقوم بتعديلها أو تطويرها لتتناسب مع مقتضيات الظروف والأحوال المستجدة. وهذه معضلة كبيرة، لهذا يؤكد على أنه بات من الحيوي إعادة قراءة كتب الفقه المعتبرة كأساس للقانون الإسلامي (الشريعة).

وفي نظره إن الشريعة، على عكس ما يتوهمه أغلب المسلمين وليست قانونا إلهيا مباشرا، وإنما هي ناتجة عن عملية بلورة تاريخية محضة قام بها بشر استنادا على القرآن والحديث والسيرة النبوية في القرنين الأول والثاني للهجرة.

ويعتبر أركون أن إعادة القراءة هذه تصطدم بعقبات كأداء نظرا لسيادة الاعتقاد أن القانون الإسلامي (الشريعة) هوأصل الهي مباشر ولا علاقة له بالبلورة التاريخية التي قام بها بشر وهم الفقهاء والقضاة.

وتظل الفكرة المحورية لمحمد أركون في هذا الصدد أنه قد وجدت في تاريخ الإسلام تركيبات تيولوجية (لاهوتية) وقانونية وتشريعية جمدت التعاليم القرآنية التي كانت متفتحة غنية متعددة الاحتمالات و التي يمكن للبشرية أن تتأمل به وتفكر فيها حتى يوم الدين، وهكذا يتناغم الفكرة الاركونية مع فكر عبد الزهراء عثمان تناغما انسانيا ثقافيا حضاريا من ناحية تواجد المبادئ الاساسية لحقوق الانسان في الاسلام على الرغم من رؤيتنا ان الاسلام في بداياته قد شهد ما يزعزع حقوق الانسان

بسبب بدايات التشكيل مثل موقفه الخجول من الرق مثلا وغيرها من المواقف التي تبناها الاسلام في تشكلاته التاريخية.

وكذلك ينقد سليم المذاهب الاجتماعية الاخرى كالنظام الراسمالي والاشتراكي ويعتبرها انظمة تقتصر اهتماماتها على تنمية الجوانب المادية في حياة الناس كالاقتصاد وتنمية الانتاج وتشجيع الشهوات اما العواطف الانسانية واشراقات النفس المعنوية العليا فلا اثر لها كما يقرر ذلك سليم وهذا كلام صحيح جدا ويقرر سليم استنباطاته الاصلاحية وحقوق الانسان من النصوص الاسلامية وكالتالي:

اصرار الاسلام على مخاطبته لكل المتمتعين بخصائص الانسانية دون ان يكون وقفا على امة دون اخرى او عنصر دون اخر .ويذكر النص القراني التالي ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ الحجرات13.

بالتالي فالاسلام تخطى من خلال هذا النص الالوان واللغات والعناصر والفوارق الاجتماعية والجغرافية.

يحرص سليم على ارساء مفهوم كون البشر عموما من اصل واحد واما حالات التفاضل التي صنعتها الحضارات الوضعية فليس لها مبرر بالمرة انطلاقا من نص اسلامي يحدده سليم " ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾النساء1.

ويثير سليم اشكالياته حول الشيوعية التي تتنكر لكثير من طاقات الانسان وخصائصه الطبيعية كحب المال والاشواق الروحية والعواطف الانسانية واشواق النفس العليا بخصوص الراسمالية. وظواهر مثل التمييز العنصري والاستعمار ونهب الثروات وابادة الكثير من قوى الخير فيها ويذكر سليم نصا اسلاميا رائدا في

مجال حقوق الانسان يتجلى في عدم التفريق بتاتا بين الانسانية جمعاء وهذا ورد في وصية علي الى مالك الاشتر واليه على مصر:

"واشعر قلبك الرحمة للرعية، والمحبة لهم، واللطف بهم ولا تكونن سبعا ضاريا تغتنم اكلهم فانهم صنفان: اما اخٌ في الدين او نضير لك في الخلق، يفرط منهم الزلل ويؤتى على ايديهم في العمد والخطأ" كما يقول علي "فوالله ما انا وأجيري هذا الا بمنزلة واحدة" كما ان عليا كان بانسانيته يطالب الناس بان يشيروا عليه وان يقولوا له المقالة الحقيقية وان يصارحوه بالحق يقول بما يؤكد انسانيته وكما ينقل سليم" فلا تكلموني بما تكلم به الجبابرة، ولا تتحفظوا مني بما يتحفظ به عند اهل البادرة ،ولا تخالطوني بالمصانعة، ولا تظنوا بي استثقالا في حق قيل لي، ولا التماس اعظام لنفسي ،فانه من استثقل الحق ان يقال له، او العدل ان يعرض عليه، كان العمل بهما اثقل عليه، فلا تكفوا عن مقالة بحق او مشورة بعدل"[1].

ثامناً: رؤيته ومعالجاته للحركات السياسية

وهنا يجسد سليم رؤيته لحركة الدعوة الاسلامية ولا نقصد بحركة الدعوة التي كان يتزعمها قبيل وفاته بل حركة الدعوة كواقع لحزب اسلامي اسمه الدعوة حيث شخص فيه العديد من مواطن الخلل منها التخلف السياسي وغياب الوعي الحقيقي لحركة الاحداث في المنطقة والعالم مما اثر سلبا على منهجية الدعوة في خلاصاتها الفكرية وقدرتها على المواجهة ووضع خطط العمل.كما يذكر تاثيرات حكم البعث في العراق على هذه الحركة ومحاربتها من قبل النظام البعثي والممارسات الطائفية التي مني بها العراق بضرب الاكثرية في العراق المتمثلة بالطائفة الشيعية التي ينتمي لها سليم وبسبب مواقفه المساندة تماما للديمقراطية ودعوته المباشرة الى حكم

---

[1]– علي بن ابي طالب،نهج البلاغة، رقم النص 216، ص335

الاغلبية مع احترام الاقلية يشدد سليم على الممارسات الممنهجة التي طالت الاكثرية كعنوان في العراق.

وتم تهجير المئات من انصار الدعوة في العراق الى ايران وسوريا والكويت وغيرها من دول العالم وتمت ملاحقتهم كذلك وفي ذلك يجسد سليم الرؤى الدكتاتورية التي مني بها العراق. ثم يتكلم عما حصل من انشقاقات في صفوف الدعوة اوصلت الدعوة كحزب الى حركة الدعوة وحزب الدعوة ويشير بصدق شديد الى كل مجريات الاحداث التي تسببت بهذا الانشقاق دون مداراة لاحد لان منهجه هو الاصلاح حتى في الجسد الذي ينتمي اليه سليم ناهيك عن معالجاته لامور البلاد.حتى ان سليم يعبر عن اللعبة السياسية التي قادها بعض الدعاة لضرب منهجية منتمين اخرين لهذا الحزب بالخبث الشرعي على حد تعبير البعض.

ويسهب سليم في شرح الواقع المأساوي الذي تسبب به البعض من ضرب حزب الدعوة من الداخل والذي سبب الانشقاقات المتتالية في صفوف الحزب بل انه يشير الى ان حزب يعيش حركة سرية من غير الممكن ان تقوم بعملية اجراء انتخابات فيه فالانتخابات تتم فقط في الاحزاب العلنية وفي هذا يشير سليم الى الانتخابات التي اجراها الدعوة بتاريخ كانون الاول/1980 والتي عبر عنها سليم بان هذه الانتخابات اوصلت مجموعة من الطموحين للقيادة والبروز السياسي الى قمة القيادة العامة ، وغالبيتهم منقطعين عن العمل سنوات طويلة وفي ذلك يشخص سليم وصول العديد من الدعاة الطموحين للسلطة والمال ويشخص مواطن الخلل في حزب عريق تاريخيا مثل حزب الدعوة.

ثم يعرض اراء مهمة لراي المعارضين لهذه الانتخابات وعز الدين منهم والنتائج التي تمخضت عنها هذه الانتخابات والتي كان منها انشقاق الحزب الى كينونتين "حزب الدعوة وحركة الدعوة" وكالتالي:

ان الانتخابات بذلك الشكل الواسع لا تصح الا في الاحزاب العلنية في البلدان الديمقراطية، ولا يمكن ان تجري في حزب سري لم يعرف الدعاة فيه تاريخ الاشخاص واثرهم ودورهم فالدعوة كانت تعيش السرية في خططها واشخاصها ولم يعرف غالبية الدعاة الذين دخلوا المؤتمر الاول للحركة عام 1980 المواقع الحقيقية لاغلب الاشخاص الذين انتخبوا في القيادة ولا مؤهلاتهم او مؤهلات من نصبوا في اللجان الاساسية للحزب بعد ذلك. وهذه اشارة مهمة من قبل سليم تبين ضربه لمن يقدس حزب الدعوة كحزب بل يبين مواطن الخلل فيه ويؤكد الدور الاصلاحي لسليم والمتبين من رفضه لتقديس الاحزاب بل انا اعده اول من ضرب قدسية الاحزاب العراقية على مدى تاريخ تلك الاحزاب المقدسة بنظرها ونظر اتباعها.

كما ان اشارته المهمة بعدم جواز الانتخابات في حزب سري هي اشارة مهمة فالانتخابات يشدد سليم على ان تكون في احزاب علنية ودول ديمقراطية ودون هذه الشروط من غير الممكن اجراءها.كما يبين سليم ان اغلب من تصدوا للدعوة بعد الانتخابات هم من الطموحين الذين يبحثون عن المناصب دون مؤهلات تسمح لهم بذلك وبالتالي لكي يحكم حزب الدعوة بلد ما حسب نظرية سليم عليه ان يصحح التاريخ الذي ينتمي اليه.

كيف تتم انتخابات في حزب كما يتساءل سليم وان اغلب قيادات اعضائه ما زالوا تحت الحكم البعثي اي غير مهاجرين وان الذي حضر تلك العملية الانتخابية لا يمثل الا جزء بسيط من الحزب ممن استطاعوا الهجرة وحضور تلك الانتخابات.فكيف يصح اعتماد ذلك العدد المهاجر في هذه العملية الكبيرة كما يتسائل سليم؟

تم تجاوز كبار قادة الحزب في قضية الانتخابات فكيف يتم تجاوزهم مما يضرب العملية الانتخابية بالصميم ويدخلها في قضية الغاء الاخر.

كان الغرض من انتخابات حزب الدعوة المزورة هذه والتي اشار اليها سليم هو ابعاد مجموعة من كوادر الدعوة القيادية .

ويشير سليم اشارات خطيرة الى تاثيرات ايران السيئة على توجهات حزب الدعوة عند دخوله في ايران وستقرار اعضائه حيث يشير الى استحداث منصب جديد في الحزب اسموه " فقيه الحزب" يشير سليم الى عدم وجوده في الحزب قبل دخول الحزب الى ايران وهذا الفقيه اوجب الدخول في الانتخابات ومن لم يدخل في عملية الانتخابات يحرم عليه العمل باسم حزب الدعوة حسب سليم ،طبعا سليم لم يدخل في الانتخابات كما يشير سليم الى ان الدعوة كانت لا تسمي نفسها حزبا ولم تستعمل هذا المصطلح الا في ايران بتاثير بعض الاجواء الاعلامية فكان اسمها المتداول "الدعوة الاسلامية" بدون اضافة شيء اخر ،وبالتالي فالمفكر سليم يشير بصراحة الى تاثيرات الاجواء الايرانية على الحزب والتي رفضها سليم حتى انه رفض كلمة "حزب" التي اضيفت للدعوة الاسلامية في ايران ، وبالتالي فسليم يبرهن على صحة وصدق انشقاقه عن حزب الدعوة الاسلامية واشارته صراحة الى التمسك بالجذور وليس بما ارادت ان تفرضه الحالة الايرانية ،وهذا يدلل كذلك رفض المنهجية الايرانية بالتعامل مع المعارضة العراقية وهذا يعزز الموقف الوطني الذي اراده سليم. بالنتيجة كلام سليم هذا واضح وجلي بضرورة ابعاد الفقيه عن السياسة.

وهذه الاشارات المهمة التي عرضنا لها تستلهم بشكل اساس ورئيس في هذه القضية، قوة سليم برفض اي تدخل في قضية الدعوة من طرف غير عراقي.

وبعد هذه الانتخابات التي اشار اليها سليم ، والمبنية على اساس خاطئ كثيرا، وقعت اضرار جديدة بالدعوة تمثلت بالانشقاق العلني الى حركة الدعوة وحزب الدعوة وفقدان الدعوة لاقاليم كاملة في العالم العربي بسبب هذه الانشقاقات.

تاسعاً: رؤية سليم للدعاة بعد الانشقاق

ويهاجم سليم حزب الدعوة بشكل مباشر وذلك باعتباره لما يلي: حيث تجاوزت نظرية الدعوة في العمل السياسي والاجتماعي وغيرها والتي تبلورت خلال عشرين عاما او يزيد من خلال ما كتبه علماء الدعوة ومفكروها وتحول الحزب-وهذا نص كلام سليم- الى جهاز يعمل بقناعات مغايرة في اغلبها لنظرية الدعوة واخضاع الحركة للمزاج الشخصي في كثير من الاحيان او لرؤى القيادة الجديدة التي وصفها سليم بوجود فقيه الحزب المنصب الذي استحدث في ايران. كما يكتشف سليم على ان الحزب اي الدعوة قد دخل في صراعات مع اكثر الاسلاميين في الساحة سواء أكانوا علماء او محاور او تنظيمات معروفة او جمهورا وفقدان الحزب لسمعته الطيبة التي اوجدها الدعاة كما يصفهم سليم باخلاقهم العالية واشار سليم الى ارتباك الحزب في فهم نظرية الحكم في الاسلام بعد قيام الدولة الاسلامية في ايران وفي ذلك يشير سليم الى تبني الكثير من ادبيات الحزب لنظرية ولاية الفقيه وتاكيدات سليم على ان الحكم هو عبارة عن مقرر يستنبط من الاحكام الاسلامية وليس مقدسا تماما وفي ذلك يشير الى حكم الامة لنفسها، وفيما بعد وكما راينا امن سليم بابعاد الاسلام عن حكم الدولة كما اشرنا.

عدم ارادة سليم ادخال المسجد في التنظيمات الحزبية وهذا ما فعلته الدعوة لذلك اشار سليم وبشكل مباشر الى ضرورة الابعاد العام المتمثل بالمسجد بالعمل السياسي والعسكري. ان سليم يريد من المجتمع ان ينظر الى المسجد كمؤسسة فهو يسميه "مؤسسة المسجد في عصر الرسول" فهو ينقله من مكان لتخويف الناس وترغيبهم الى مكان لاصلاح الناس يقول الكاتب الفرنسي غوستاف لويون وهو احد المستشرقين الذي استشهد بهم سليم هذا مما يدلل استناداته على الاستشراق على الرغم من نقده اللاذع له عموما ولكنه يستشهد في بعضه كما نحن الان بصدده فكان من الاجدر على المفكر سليم ان يخصص بالاستشراق وليس يعمم وهذا دلالة المنهجية المتناقضة في هذه القضية لدى المفكر سليم .يقول لوبون" في كتابه حضارة العرب "المسجد مركز الحياة الحقيقي عند العرب"ويمضي غوستاف لوبون قائلا" فالعرب يتخذون من المسجد محلا للاجتماع والعبادة والتعليم والسكن وملاجئا

للغرباء ومراجعا للمرضى لا للعبادة فقط كبيع النصارى ومن توابع المساجد على العموم:حمامات وفنادق واصابل ومشاف ومدارس وهكذا يتجلى اختلاط الحياة الدينية بالحياة المدنية عند المسلمين"[1].

فسليم يريد ان ينتشر في المسجد كل ما ذكره لوبون أي كالسابق في الدولة الاسلامية لكي تختلط فيه اشواق الروح العليا والحاجات المادية الضرورية لمسيرة الانسان والنهضة والتنمية .

كما ان سليم يعتز بكافة دور العبادة ويعتبرها مكانا مهما لاجتماع الناس ومنها التكايا للمتصوفة والزوايا كذلك ويتكلم عنها وعن كافة الطرق التي فيها بموضوعية عجيبة في بابها باحترامها تماما كأنما هو ينتمي لها على الرغم من كونه حسب التصنيف الاسلامي شيعيا وينظر الى هذه التكايا بنظرة احترام وتقدير عالية جدا بل انه يعتبر ان اثرها مهما في بلاد المسلمين دلالة على التنوع ويشرح شرحا وافيا ما يوجد في التكايا كما انه يميز بين ما يقع في دور العبادة على سبيل المثال بين ما يقع بالحسينية التي هي دار عبادة خاصة بالطائفة الشيعية وبين المسجد.

كما يشير سليم الى ضرورة ان يكون المسجد منارا للاصلاح والهداية وخدمة النهضة فاذا تصدى للمساجد المخلصون اصبحت كذلك وساد الجهل والكلام لسليم وتصدى النفعيون (كما يحصل اليوم في العراق حيث يتصدى رجال الدين النفعيون والمفرقون للمسلمين في اغلب الاحيان في المساجد) واصحاب المصالح وذوو الادعاء للعلم والمعرفة هنا ينحسر دور المسجد. ومن مشاكل المساجد التي يشير اليها سليم ما يلي:

تأميم المساجد واتباعها الى الحكومة وبالتالي سيتحول المسجد في ظل السياسات هذه تتحول الى ما يشبه المتاحف الميتة التي تؤدى فيها العبادات بشكل صوري لا يتفاعل مع حياة الناس وواقعهم اليومي.

---

[11] – عز الدين سليم، دور المساجد في حياة المسلمين، مؤسسة عز الدين سليم الثقافية ،ط2 العراق، 2006، ص66

عاشراً: عزالدين سليم وعلي الوردي يهاجمون وعاظ المساجد الجهلة

اشارته الى وعاظ السلاطين داخل المساجد بكلمات خطيرة جدا ونراها اليوم بكثرة في مساجد المسلمين حيث يعتبر ان سيطرة الائمة والوعاظ الجهلة على المساجد من مصائب المساجد اليوم يقول سليم" من مشاكل المساجد لدى بعض البلدان سيطرة الجهلة من الوعاظ وائمة الصلاة عليها واكتفاء هؤلاء بما يؤدونه من وظائف شكلية وما يتقاضونه من مرتبات من دوائر الاوقاف الرسمية في بعض البلدان او من المتولين عليها"[1] وهنا سليم يهاجم وعاظ المساجد البائسين المتخلفين وقبله علي الوردي كان قد هاجم ليس فقط وعاظ المساجد بل ما اسماهم الوعاظ المتفرنجين وما نسميهم اليوم بدعاة الثقافة او "النرجسيون" يقول الوردي" والغريب ان الوعاظ المتفرنجين لا يختلفون عن الوعاظ المعممين الا بمظاهرهم الخارجية ومصطلحاتهم التي يتمشدقون بها هؤلاء يصيحون "الدين..الدين ياعباد الله" واولئك يصيحون "التمدن التمدن يا ابناء الفاتحين" اولئك يهتفون الى الامام وهؤلاء يهتفون الى الوراء، ولعلهم يفعلون ذلك لكي يخدروا الناس ويشغلوا اذهانهم عن النظر في مشاكلهم الراهنة التي هي ليست الى الامام ولا الى الوراء " وتجد الواعظ المتفرنج اي اشباه المثقفين قد صعر خده على الناس وشمخ بأنفه فاذا مر بزقاق قذر من ازقة الاحياء الفقيرة امسك انفه بيده، واخذ يتأفف وربما اغمي عليه، انه يحسب الفقراء الذين يمر بهم وحوشا قذرين فهو لا يتقرب منهم ولا يدرس مشاكلهم التي يعانونها ثم يصيح الى الامام، والوعاظ المتفرنجون اي اشباه المثقفين لا يقلون عن المعممين في ولعهم بالنصائح الفارغة فلا يكاد احدهم يذهب الى بلد من بلاد الغرب حتى يرجع وقد انتفخت اوداجه غرورا وتحذلقا ،وياخذ عند ذلك بتمجيد سجايا الغربيين،

---

[1]- عز الدين سليم، دور المساجد في حياة المسلمين، مصدر سابق، ص95

وسمو اخلاقهم، ثم ينظر الى من حوله، من البؤساء فيرمقهم بنظرة ازدراء ويقول "ما لكم لا تتخلقون بأخلاقهم" يفتخر المعممون باخلاق السلف الصالح ،ويفتخر المتفرنجون باخلاق الغربيين وهم جميعا يريدون ان يضعوا امام الناس غاية لا تنال على سبيل الالهاء والترويع ،يريد الوعاظ من الفقراء ان يكونوا ذوو اخلاق فاضلة ولعلهم يقصدون بذلك تغطية ما يقوم به سادتهم من ظلم وتسفل فهم يضعون امام الناس هدفا مستحيلا لكي يلقوا عليهم الحجة فيما يعانون من بؤس ثم يقولون لهم "لقد جرت اخلاقكم عليكم البلاء" والمشكلة انهم يتحذلقون في معظم خطبهم ومقالاتهم فاذا نطق احدهم ملأ شدقيه بالفاظ الشنفري وتأبط شرا، وتراه يضيف الى ذلك شيئا من المصطلحات الغريبة التي لا يفهمها العامة، وهو يمطط كلماته ليجعلها اكثر غموضا، وترويعا وهذا دليل على انه يريد ان يصعق بها نفوس الناس ويخلب البابهم، وربما اراد بها ان يضر الناس لا ان ينفعهم"[1] وبذلك يتشابه سليم والوردي من ناحية نظرتهما الى وعاظ المساجد واشباه المثقفين على الرغم من ان سليم انتقد الوردي فيما مضى وقد ناقشنا هذا الموضوع باسهاب.

بل ان سليم يزيد مهاجمته لوعاظ المساجد قائلا: ان امثال هؤلاء الوعاظ لا يكلفون انفسهم عناء المطالعة ،والاطلاع على حقائق الاسلام، ولا يعدون انفسهم، جيدا، وان كثيرا من الوعاظ وائمة الصلاة في المساجد يكونون عونا للظالمين ويصدون الناس عن المساجد بسبب تصرفاتهم الجاهلة –وهذا ما حدث فعلا في العراق اليوم– وعدم نفعهم للمسلمين بما يطرحون من افكار فجة ومفاهيم بعيدة عن ذوق الناس وتطورات الحياة خصوصا بالنسبة للشباب اليافع الذي يتطلع الى المفاهيم التي تملأ نفسه بالرضا والقناعة لا المفاهيم البائدة المشككة بقدرة الاسلام على مسايرة تطورات الحياة.

---

[1]– الدكتور العلامة علي الوردي، وعاظ السلاطين، ط2،دار كوفان، لندن،1995، ص270

ومن المشاكل التي تعاني منها المساجد في بعض البلدان تعاطي الخرافات والأساطير فيها واللغو واللغط واللهو والنوم وقضاء الأوقات وتعاطي الغيبة والكذب وتناول أعراض المسلمين والتدخين وإدخال القذارة وهي إشارات جدا مهمة واعتقد إنها لا تحتاج التعليق الكثير عليها فنحن نشهد اليوم بكثر نشهد من يتعاطى الخرافات والأساطير والأحلام بعيدا عن الرؤى الإصلاحية الأخلاقية ،ونشهد من يتعاطى كل هذه المشاكل التي هي عبارة عن تخلف كبير ودلالة على تحويل المساجد الى بؤر للفساد وليس للإصلاح بل شهدت بعض المساجد أن تخبئ فيها الأسلحة وتكون بؤر عنفيه فضلا عن كونها بؤر تخلفيه كما يشهد بذلك سليم.

كذلك فان المساجد تنقصها برامج تعليمية وتدريبية وحيوية تهتم بالناس ومشاكلهم مثل مشكلة العزاب والعاطلين عن العمل، وغيرهم أي إن سليم يريد من دور العبادة أن تكون مصدرا لاحترام الناس والتجانس معهم.

بل انه يطالب ان تتحول المساجد المتمثلة بمكة والمدينة إلى أن تكون أمكنة لتبادل التجارب الفكرية والثقافية بين المسلمين في مختلف بقاع الأرض، وتتوفر مستلزمات التلاقح الفكري لا الاختلاف كما يحصل اليوم بل إنشاء دور عالمية للتعريف بالإسلام باللغات الحية في العالم، وإقامة مؤتمرات الحوار الإسلامي ويأمل سليم ان تكون هذه المقترحات لجميع مساجد المسلمين وليس لمسجدي مكة والمدينة، ويأمل سليم ان تحتوي المساجد على مكاتب عامة مع مراعاة الكتب التربوية والعلمية وان تراعي هذه الكتب لغة الناس ومراعاة أعمارهم علما ان هذه المعلومة ذكرها سليم مرتين في كتبه وهذا يدلل على ظاهرة التكرار التي وقع بها المفكر سليم في بعض رؤاه الفكرية والتي اشرنا الى الكثير منها في كتابنا هذا.

وإنشاء نواد رياضية تلحق في المسجد تحتوي على السباحة وكرة الطائرة والقدم وكرة السلة وكافة الأنشطة الرياضية ودعم الفقراء وإقامة مدارس علمية تلحق في المسجد وإصدار مجلات ثقافية ومدينة للأطفال ودار نشر ومؤسسة مالية

للقرض وتوفير سفرات جماعية للشباب ودورات للتأهيل العلمي .بالتالي فسليم يريد من الجوامع ان تقوم بدور التفاعل مع الناس كمصلح ديني يريد منها ان تتحول الى نوادي رياضية بالإضافة الى كونها دور عبادة.

وفي ذلك دعوة لابعاد الدين المتمثل بالمسجد عن الدخول في الحزبية والتحزب ليس كما يفعل الان تعقد الكثير من الندوات التي تثقف حول الانتخابات في العراق في المساجد لاكسابها قدسية على الرغم من كون العملية الانتخابية قضية سياسية ليس لها علاقة بالقدسية . كما يشير سليم الى تعالي الدعاة على غيرهم من الحركات والاحزاب حيث اسابتهم حالة من الانتفاخ والتعالي على الاخرين، مما ادى الى صراعات مع الاسلاميين في الساحة العراقية على المواقع والحصص والنسب كان اكثرها وهميا اي انهم يكذبون في حصصهم الحقيقية وبالتالي تحول الدعاة الى انهم لا ينسجمون مع اي مشروع يطرحه غيرهم للساحة او يترددون في العمل ضمنه على الاقل. كما قام حزب الدعوة المشكل بعد الانتخابات المشار اليها بالتفريط بالدعاة حيث خرج من التنظيم اعداد كبيرة من الدعاة الذين يقدر عددهم باضعاف ما بقي في التنظيم دون الاهتمام الجاد باقناعهم بالعودة للمساهمة في هذا المشروع السياسي مما يدلل على ان الذين خرجوا يقفون حجر عثر امام الطموح المتعالي لمن بقي.

ويشير سليم الى ظاهرة خطيرة موجودة لدى الاسلاميين ومنهم الدعاة وهي حالة التسقيط والتشهير لدى البعض – وهذا من النقد الخطير الذي وجه من قبل سليم للاسلاميين والدعاة وبوقت مبكر– اذا خالف في رأي او وجهة نظر مما تجاوزت به الحالة ضوابط الاخلاق الاسلامية في اغلب الاحيان.

ويشير سليم كذلك الى الضعف الشديد الواضح في العمل الثقافي عند الدعاة وعدم الاهتمام بثقافة الامة وحسها الديني والسياسي.

ويشير سليم الى انه كان لدى مراجع الدين الشيعة خصومات وصراعات تقع في المراجع والحواشي والحوزات وهذه اشارة خطيرة منه الى الضعف الموجود في المؤسسات الدينية الشيعية المتمثلة بالحوزات وما شابهها على اموال ومناصب

وواجهات فالحزب كان يدخل في كثير من الاحيان في صراعات تقع بين هذه الحواشي والمراجع والحوزات لاجل هذا الطرف او ذاك مما كلف الدعوة كما يشير سليم خسائر كثيرة على المستوى السياسي كما اشار سليم الى ضعف التخطيط الحزبي لدى الحزب وتخبط الدعاة وفشلهم في قيادة الحزب، وغياب المشروع السياسي المتبنى لدى الحزب وتخبط الدعاة في هذه القضية بينما كانت الدعوة كما يشير سليم سباقة في المشاريع السياسية حيث قدمت مشروعها السياسي عام 1979من خلال بيان التفاهم الذي كان موجها كما يذكر سليم الى كل عراقي شريف بغض النظر عن انتمائه هذا وقد تبع ذلك غياب للخطاب السياسي المناسب ايضا وبيان التفاهم الذي يذكره سليم كتبه محمد هادي السبيتي وهو عبارة عن انجاز فكري اكثر اهمية من اي انجاز اخر، حيث عبر عن راي الحركة الاسلامية في جميع خطوط الوحدة التي يمكن ان تلتقي عندها المعارضة العراقية فضلا عن الفصائل الاسلامية، لقد طرحت الدعوة الاسلامية في بيانها معظم ما في جعبتها وتوجهت فيه الى جميع العراقيين سنة وشيعة عربا واكرادا وتركمانا واعراقا اخرى المنتظمين في مختلف الاحزاب والمنظمات السياسية والنقابية اهل الكتاب من مسيح وكلدان واثوريين وارمن واقليات اخرى واكد هذا البيان الذي يتبناه سليم على وحدة الكلمة وتكافؤ الفرص للجميع ونبذ الفرقة المذهبية والعنصرية وكل ما يتصل بالتعصب الذميم في جميع المحاولات، ودعا العراقيين الى العمل الجاد والتعاون المثمر والحياة الفاضلة وطرح نقاط هامة تشكل محاور للتفاهم بين جماهير الامة والمجموعات السياسية التي تهدف للاطاحة بالنظام الحاكم انذاك في العراق كما دعا هذا البيان جميع الفصائل والاتجاهات الاسلامية العراقية لتركيز الصراع السياسي مع عملاء النظام وعدم تشتيت الجهود في الخلافات الهامشية وقد وصفت كما يشير سليم صحيفة اللوموند الفرنسية هذا البيان بانه مفاجأة.

وقد خالف الحزب فيما بعد هذه الابعاد الانسانية الواردة في البيان كما اشار سليم.

الحادي عشر: حقوق الاكثرية ضمن منهجية الديمقراطية في ايمان سليم

كثيراً ما يركز سليم على ضرورة اعطاء حقوق الاكثرية التي يتكون منها الشعب العراقي المتمثلة بالطائفة الشيعية مع احترام حقوق الاقليات الاخرى وهذا هو المنهج الديمقراطي الغربي الذي امن به سليم. ويشير الى انه عندما يتحدث عن حقوق الاكثرية في العراق لا يريد باشاراته هذه ان يلغي الاخرين انما يريد ان يوضح الحال القائم في العراق بالدرجة الاولى ومكوناته الاساسية وضرورة ان ياخذ كل مكون حقه في الحكم. كما انه عندما يتحدث عن هذه الحقوق لا يعني انه يحمل لواء الطائفية كما يشير سليم " وانما نحاول من خلال تكريس حقوقنا ان نحمي حقوق الاخرين ونحاول قدر الامكان ان نقتل الحالة المذهبية في العراق"[(1)] بل يتسامح سليم الى ابعاد انسانية قل نظيرها لدى الساسة فهو ليس بسياسي كما المحنا سابقا فقط وانما هو سياسي انسان حيث يقول" فالشيعة كما يدعون الى حقوقهم لا يريدون ادانة المذهب الشافعي الذي يمثل الاكراد، ولايريدون ادانة الاحناف الذي يمثلون السنة العرب، انما ندعو الى حالة من التسامح والى اقرار الحالة المذهبية داخل العراق، دون الغاء الاخرين، فلا ندعو للطائفية ابدا، ولا نؤمن بها، ونحارب من يحمل لواء الطائفية"[(2)] ويشابه سليم كثيرا الفكرة التي قام عليها كتاب"الشيعة والدولة القومية في العراق" الذي كتبه الكاتب حسن العلوي من ناحية ان الحكم الحديث في العراق قام على اساس طائفي فيتشابه كلا سليم والعلوي في بحثهما حول طائفية هذا الحكم واستمرار النهج الطائفي فيه، كون ان هذه الانظمة

---

[1]– سليم، حقوق الاكثرية ، الرافدين.مجلة تصدر عن المركز الوطني للدراسات التارخية والاجتماعية .

[2]– المصدر السابق نفسه.

التي توالت على حكم العراق غيبت مشاركة الاكثرية في حكم العراق بدعاوى وهمية من قبيل مبدأ التشيع الذي هو عبارة عن مذهب يؤمن به مجموعة ليست هينة من قبل الشعب العراقي لذلك كان واجبا على الحكام الذين توالوا على حكم العراق مراعاة مبدأ الاكثرية مراعاة لمبدأ الديمقراطية. من هنا يشير سليم الى الحكم الطائفي الذي عم العراق ابتداء من حكومة عبد الرحمن الكيلاني المعروف باسم عبد الرحمن النقيب والذي اشار صراحة الى ضرورة ابعاد الشيعة عن الحكم وذلك ما نصح به المس كورتودوبيل كما تذكر في مذكراتها، وكلامنا هذا هو ليس تحزبا لطائفية نحن بعيدون عنها كل البعد بل اشارة الى الموضوعية التي نبغيها في بحثنا هذا الذي يؤسس للجوانب الفكرية الانسانية ، وبالتالي فيشير سليم الباحث عن الموضوعية الى انه في العهد الملكي حين نقرأ تاريخ العراق نجد ان 59 وزارة شكلت في العهد الملكي ولظروف معينة عين فيها 5 وزراء شيعة فقط، ويشير سليم الى الممارسات التي مارسها النظام السابق الى الشيعة في العراق وكيف مارس عليهم اكبر الغاء للاخر في تاريخ البشرية ولكنه وبعد كل التفاصيل التي يذكرها في هذا المجال ياتي ليقول" نحن لا نسمح بعراق يبنى على الطائفية ،واذا كان الشيعي طائفيا فاننا لا نقبل به، شيعي يحارب الاخرين، لا نسمح به، يلغي هويات الاخرين لا نسمح به، نريد عراقا موحدا غير طائفي يؤمن بالتعددية السياسية والمذهبية والقومية، هذا ما نصبوا اليه، لكننا نطالب بحقوقنا وندافع عن حقوق الاخرين، لا نقبل بظلم الاخرين" .

الثاني عشر: علاجات سليم للواقع السياسي المزري

ولوضع حد لكل هذه المشاكل التي عرضنا لها من قبل سليم يضع مجموعة تصورات لحكم العراق تعتمد على التالي وهذه التشخيصات التي وضعها سليم قبل سقوط النظام البعثي في العراق مما يؤكد نظرة سليم الاستشرافية حيث تم الاخذ باغلب ما راه هذا المفكر ووضعت في الدستور العراقي:

منها: الاعتماد على النظرية الاسلامية في تكريس العدالة وكرامة الانسان وعدم التفريق بين ابناء المجتمع وفق مذهب او لون او طبقة او لغة ورعاية حق المواطنة للمسلمين ولغيرهم.

ومنها: تبني النظام الديمقراطي في الحكم: اذ يرى سليم ان المشاركة الديمقراطية وتبني الانتخابات النيابية الحرة في البلاد، واعتماد راي الامة ، في صياغة طريقة الحكم "وهذه نقطة كثيرا مهمة في رسم سياسات البلاد بعيدا عن حكم الفقيه التي يدعو لها البعض، وكذلك اعتماد راي الامة في صياغة وبلورة حياة دستورية مستقرة في البلاد هو الذي يعالج مشكلة الحكم في العراق ويخلق البديل السياسي المناسب باختيار من الامة ورضاها وبناء على ذلك فان هذه الطريقة في نظر اصحابها ستخلص العراق من شرور الطغيان والطائفية وحكم الاقلية وما يتبعها من مشاكل سياسية واجتماعية وثقافية وعلى اساس هذا البديل المتصور للعراق فان المنهج الديمقراطي سيحقق مصالح الشيعة والسنة والعرب والاكراد والتركمان والصابئة واليزيدية والاثوريين وغيرهم.

ومنها: الحل الفدرالي: حيث يقرر سليم ان الطريقة الفدرالية في ادارة البلاد انسب من غيرها لضمان حقوق القوميات والمذاهب ويفترض هذا الحل في بعض صوره، ان يتكون العراق من خمس ولايات كبرى او اكثر وهي:

ـــ كردستان حيث يقطن الاكراد.

ـــ الولاية الغربية وتشمل الموصل والرمادي وتكريت.

ـ الولاية الوسطى :وتشمل المدن الوسطى المعروفة.

ـ الولاية الجنوبية :وتشمل البصرة والعمارة والناصرية.

ـ وولاية العاصمة بغداد: وتشمل بغداد وما حولها وهي مشتركة لجميع المذاهب والقوميات من الناحية الواقعية ولتكن لهذه الولايات ادارات محلية وتخصص لكل ولاية ميزانية لمعالجة مشاكلها وتحقيق مصالح الناس وتراعى في كل ولاية طبائع الناس واذواقهم في الاعلام المحلي والمناهج الدراسية وما الى ذلك، على ان تكون هناك حكومة مركزية وطنية عامة مركزها بغداد تدير الشؤون العامة، وتشرف على الجيش والسياسة الخارجية وتحافظ على السمات الوطنية العامة للبلد، تماما كما هي الحال في المانيا وماليزيا وكندا واستراليا وغيرها، والفدرالية طريقة في الحكم كما يشير سليم تعارفت عليها الامم والشعوب في كثير من البلدان في العصر الراهن كما تشبه نظام الولايات الاسلامي في بعض العصور والادوار ونحن نختلف مع اشارات سليم الى ان الفدرالية تشبه في بعض ادوارها الولايات الاسلامية لانها تختلف تماما عنها ولكن سليم قد يقصد تقسيم الدولة كولايات وهو صحيح فقط في عملية التقسيم وليس في شيء اخر.يخص الفدرالية ، ويرى سليم ان هذه الطريقة هي الانسب في حكم العراق لتجنب شرور العنصرية والطائفية والاستئثار بالسلطة وما يترتب عليها من هموم والام ومحن كما هي كفيلة بتغيير نسيج الحكم في العراق منذ ثمانين عاما.

والملاحظ لفكر سليم هذا تاثره كثيرا بالحكم الفدرالي المشتق من الرؤية الغربية البعيدة عن الرؤية الاسلامية واطلاعه الواسع على انظمة الحكم العالمية وتبنيه لهذه التجربة وتسقيطها على الواقع العراقي كفدرالية جغرافية وليست طائفية فالوسط يضم السنة والشيعة والمسيح وكافة الطوائف وحتى القوميات كالكرد مثلا. وبالتالي يجسد سليم رؤية حضارية للمبدأ الفدرالي الذي تم الاخذ به في الدستور الجديد للعراق.اما انواع الفدرالية في العالم فيعتبرها سليم عديدة ومتنوعة وكل نموذج يناسب البيئة الجغرافية والتركيبة السكانية التي يطبق فيها، ولذا فان الفدرالية في ماليزيا غير الفدرالية في كندا، وفيدرالية السودان الذي يفترضها دستورها غير الفدرالية في امريكا وهكذا تجد الاختلافات تتسع وتضيق بالنسبة لهذه الصورة او

تلك. ومن اجل ذلك، فاننا لا نفترض ان الفدرالية في شكلها الذي يطبق في العراق يجب ان تستبطن نموذج الفدرالية في المانيا واستراليا او سويسرا مثلا وانما ربما تقترب من حالة ماليزيا او الهند وامثالها، وهكذا فان سليم يقدر ثقافة الناس ووعيهم وتقدمهم الحضاري والمدني له علاقة حسب سليم بشكل النظام المطبق في بلدانهم.

كما يركز على ضرورة تثبيت حقوق الجميع من اكثرية واقلية في دستور يتفق عليه الجميع ويعلي من شأن المواطنة سواء كان الحكم فدراليا او ديمقراطيا او اسلاميا او اي شيء كان، فكل حريص على مصلحة العراق وحدته وسيادته واستقلاله واستقراره لا بد ان يصر على حماية مصالح الناس اكثرية كانوا ام اقلية.واشاعة التعددية الدينية والمذهبية والسياسية.

انهاء الطائفية السياسية سواء نفذها حاكم ينتمي الى الشيعة او حاكم ينتمي الى المذاهب الاربعة.

محاربة الطائفية لا يتم الا بالاعتراف القانوني الصريح بمصالح جميع الطوائف في دولة القانون وفي ظلال العدل واحترام الراي الاخر بعيدا عن الدكتاتورية الفردية او الحزبية او المذهبية وحينئذ يتسنى للعراق ان يكون دولة نموذجية من حيث الاستقرار والتنمية والثراء والعطاء.

ويتجلى موقف سليم حول قضية تبني حقوق الشيعة بان هذا التبني يجب ان يكون مدخله حقوق الانسان وليس شيئا اخر لكي لا تثار حساسية الاخرين من لفظة الشيعة فيجب ان تثار من المحيط الدولي وهو الاقدر على التعامل الايجابي مع حقوق الشيعة ومحنتهم في العراق في الوقت الحاضر حيث تتوفر ارضية مناسبة جدا، عند كثير من السياسيين الغربيين والمثقفين والصحفيين ورجال القانون، خصوصا اذا عرضت هذه المشكلة كجزء من حالات حقوق الانسان المهدورة. وتتبنى كذلك خلال المحور السياسي ومحور الثقافة والاعلام .

الثالث عشر: ضوابط طرح حقوق الشيعة في العراق "المنـهج الانساني لسليم

ويضع سليم ضوابط للتعامل مع حقوق الشيعة ليس احد قبله قد وضعها نتيجة الحس الانساني المرهف في طرح القضية وكالتالي:

لا يصح مطلقا ان تطرح مظلومية الشيعة وحقوقهم قبال مصالح الاخرين، من قطاعات الشعب العراقي، وانما تذكر مصالح الاخرين وحقوقهم، ويركز على حقوق الشيعة ومحنتهم فمثلا عند ذكر مظلومية الشيعة بخصوص قتل بعض فقهائهم ينبغي تذكر من قتل ا من الاخوة السنة كالشيخ عبد العزيز البدري وتذكر مظلومية الجميع والاكراد من ضمنهم.

لا يصح ان تطرح قضية الشيعة قبال السنة في العراق، وانما قبال النظام وطريقته في التعامل مع الشعب العراقي.

تطرح مصالح الشيعة كجزء من مصالح الشعب العراقي كالتركمان والاثوريين وغيرهم.

تقسيم المخاطبين الى دوائر، لكل دائرة خطابها الخاص فالشيعة الاسلاميون لهم خطاب خاص، وجمهور الشيعة لهم خطاب، والشعب العراقي عموما له خطاب، والعالم العربي وحكامه لهم خطاب خاص، يتناسب مع حكمة الطرح.

الاستفادة من فكرة التقريب بين المذاهب الاسلامية لطرح حقوق الشيعة ضمن قضية التقريب.

الاستفادة من بعض الشخصيات السنية لطرح هذه القضية.

الاهتمام بذكر فقهاء الشيعة والسنة معا في المناسبات وهذا من باب الحوار الاسلامي الهادف.

الدعوة الى حقوقهم ليس المراد منه الغاء حقوق الاخرين او التطفيف منها، فليس هدف سليم ان يتم تبني طائفية بديلة للطائفية فنحن اعداء الطائفية من اي جهة صدرت حتى وان كان منفذوها جماعة من الشيعة وانما الهدف الاساسي اقرار حقوق هذه الامة من الناس الى جانب اقرار حقوق العراقيين الاخرين سواء بسواء لقطع دابر الفتنة ونقيم اسس العدالة وتكافؤ الفرص

فالتاكيد واضح من قبل سليم بالرفض القاطع لاي طرح طائفي وشجبه ونفيه والتاكيد من قبله على ضرورة التعايش بين الجميع على حد سواء.

فتبني حقوق اي طائفة يجب ان يكون مدخله الرئيس عدم الغاء الاخر اولا ومن ثم الدخول لهذه الحقوق من باب حقوق الانسان . وهذا ما يصبو اليه الجميع.

الاسلام وتطورات الزمن بنظر سليم:

يعتبر سليم ان الاسلام باستطاعته من وجهة نظره ان يستوعب مطالب الحياة الانسانية المختلفة كالمطالب الروحية والجسمية والتملك وقضايا الاسرة والمجتمع والدولة وهذه الشمولية المتميزة نظر اليها سليم من خلال محورين متواكبين مع الزمن اي تفسير الاسلام بما يتناغم وروح العصر وكالتالي:

اقرار مجموعة من القيم والقواعد والاحكام التي ترتبط بالحقائق الثابتة في الحياة الانسانية وهذه القوانين والقيم تنظم اسس حياة الانسان وترتبط بوجوده بكل زمان ومكان وهي احكام اخلاقية تتعلق بالزواج والدفاع عن النفس والعيش في مجتمع ونفي الظلم هذه الاحكام الانسانية بمفهومها العام تحدد الهوية الحضارية للامة التي يصنعها الاسلام فهي لا تتغير .ويشبهها سليم بحالة الجانب الثابت في دساتير الامم ذات الحضارات المعروفة في التاريخ. وكونها ثابتة مسالة منطقية وذلك بسبب كون هذه الامور المتعلقة بالعيش في مجتمع ونفي الظلم لا تنتفة بتغير التاريخ.

اقرار جانب من القوانين والاحكام كما يشير سليم والارشادات ذات العلاقة بالجانب المتغير من حياة الانسان عبر الزمان والمكان وهذا الجانب من حياة الانسان لا يغور الى داخل الكينونة الانسانية وانما يتعلق بطراز المعيشة عبر الزمان والمكان والتغير بوسائل المدنية وضرورة الاخذ بها حسب سليم ،والمظاهر العامة للحياة الثقافية والسياسية والاقتصادية وغيرها فالتطور في طراز المعيشة كطرق التعليم ووسائل الانتقال واستنباط الثروات وحفظ الاموال ووسائل الاتصال بين الناس ونقل الثقافة ووسائل الدفاع والحرب وما الى ذلك في حالة من التطور الدائم.

فوسائل الناس وخبراتهم وتجاربهم قبل قرن من الزمان تختلف مثلا عن تجارب الناس ووسائلهم اليوم.

كما ان سليم كمصلح من داخل المؤسسة الاسلامية يحاول جاهداً ان يبعد الاسلام عن شبح كونه غير قادر على مسايرة العصر وكالتالي: فهو يناقش مسألة ان الاسلام كرسالة وشريعة ليس بمقدوره ان يساير موجة التجديد في حياة الناس ولذا تعبر بعض الدراسات والادبيات عن تلك الفكرة الوافدة بالصراع بين الدين والعلم او التراث والمعاصرة وما الى ذلك من مصطلحات.

ولكن سليم يحاول ان يفهم الجميع بعدد من المبررات بان الاسلام لا يقف بالضد من تطورات المجتمع وهذا شيء صحيح نوعا ما من قبيل نظرة سليم للاسلام كدين ومحاولته للدفاع عنه.

ويضع عدد من المبررات التي سنعرض لها:

القديم الاصيل لدى المسلمين لم يعلن حربه على الجديد، ولم يقف حجر عثرة في طريق التقدم والتطور ومستجدات الحياة الزمكانية.

الجديد في بلاد المسلمين لم يشن حرب ابادة على كل مقولات القديم الموروث من قيم ومبادئ ومقدسات كما جرى بالنسبة لعدوان الفكر الجديد ونظرياته على كل

موروث في الحياة الفكرية والاجتماعية والسياسية في اوربا وهذا الكلام واقعي في بعض جوانبه فلكي تتطور وتتقدم لا يعني ان تلغي القيم والوجه الحضاري من مبادئك الاساسية التي تعتاش عليها وفيها فادونيس يقول :من لا تراث له لا هوية له ،فالتراث هو جزء من سلوكنا الحضاري في التعامل مع الاخر .كذلك يجب الفصل بان القديم يشن الحرب على الجديد وهذا شيء غير صحيح تماما نعم بعض القديم الوارد ينفي التجديد والتحديث ولكن ليس كل القديم ينفي الجديد.

ويشخص سليم الاسباب التي اججت الصراع بين الاصالة والمعاصرة والقديم والجديد في عالمنا الاسلامي بالشكل التالي وهي اسباب يلقي سليم باللوم فيها على عدد من المؤسسات الاسلامية منها والمجتمعية وهي مهمة جدا في نظرنا:

تحجر بعض مؤسساتنا الفقهية الرسمية وحشرها للاسلام في زاوية الاجترار لبعض المفاهيم والصور التطبيقية ،التي تخطتها ظروف الزمان والمكان وعدم قدرة تلك المؤسسات على استيعاب المتغيرات الجديدة في عالم المدنية والقوانين والتشريعات وكلام سليم هذا واضح جدا بمهاجمته المؤسسة الدينية المتحجرة غير القادرة على مواكبة روح العصر ويعتبرها هي السبب في فهم ان الاسلام معاد للحضارة الحديثة بسبب ظاهرة الاجترار الثقافي لما هو موروث سلبي وليس ايجابي وقد تحدثنا فيما سبق عن هذه الظاهرة . ويعتبر ان الكثير من مؤسساتنا الفقهية الرسمية وغيرها ما زالت تمارس ادورا تطبيقية تخطاها الزمان والمكان فلكي تكون مؤسسات ناهضة عليها ان تستوعب عالم التمدن والقوانين والتشريعات ونلاحظ كيف ان سليم يركز على مفهوم المدنية فالمجتمع المدني لدى سليم اساس ومهم فسبق وان اعتبر الشعب العراقي شعب متمدن بل هو الضي اعطى اولى صور المدنية للعالم.

ويعتبر نظام فرمان (الكلخانة) الذي اصدره السلطان العثماني عبد المجيد عام 1839 اوضح الادلة على فشل المؤسسات الفقعية الرسمية التي عجزت عن مد

نظام الدولة العثمانية بالقوانين التي تستوعي مستجدات الحياة في ضوء الاسلام حيث عمل السلطان العثماني المذكور على اجراء عملية لتطعيم الدستور العثماني في ذلك التاريخ المبكر بمواد قانونية اوربية مما سجل انطباعا لدى الكثير من المسلمين او هكذا يستفاد في ان الفقه الاسلامي عاجز عن مسايرة تطورات الحياة بالتالي فسليم يعطي دورا حقيقيا للرؤى الاسلامية في قدرتها على المسايرة وهذا لانه مصلح يحاول ممارسة الاصلاح في تبيان قدرة الاسلام على الاستيعاب ويعتبر نقده اللاذع للمؤسسات الفقهية المجترة سواء كانت شيعية او سنية في محله تماما في كونها هي غير قادرة على استيعاب التطورات.

اما مناقشة الكلخانة فاعتقد ان سليم كان غير موفقا في مناقشتها باعتبار ان ادخال بعض المواد القانونية الاوربية في اي دستور خصوصا اذا كانت موافية لحقوق الانسان هي في مجالها ولكن سليم يريد ان يقول اننا قادرون على المسايرة والمعاصرة كمسلمين واننا لا نرفض اي شيء يقوم بخدمة واقعنا ولا ينتقص من رؤيتنا للامور.

2- وهنا يعتقد سليم ان بعض المتعلمين من المسلمين يعتقد بان التحولات العلمية والتقنية التي شهدتها اوربا بعد النهضة الصناعية العامة فيها، جاء نتيجة طبيعية للتجربة الاجتماعية والسياسية الاوربية الحديثة ولذا فان اي تحول مدني مناسب في دنيا المسلمين يتطلب الائتمام بالانسان الاوربي في اتجاهه الحضاري عموما، مما عزز نظرية الفصل بين الاسلام والمجتمع ويعلق سليم بان هذا المبرر غير صحيح اي ان الاتجاه الفكري قد سبق الاتجاه التطوري وهو غير واقعي ويضرب امثلة مهمة في بابها فالذي يدرس تاريخ اوربا الحديثة لايشك مطلقا في ان الثورة الصناعية وما انتجت قد سبقت التحولات الفكرية والدستورية في اوربا الحديثة وهذا حسب ما يشير سليم ومن ناحية اخرى يشير بان التطورات العلمية لو كانت محصلة طبيعية للمنهج الحضاري او السياسي لما وجدنا كما يقول سليم هذه

التطورات تشترك فيها مختلف الانظمة السياسية والاتجاهات الحضارية من اقصى اليمين الى اقصى اليسار. ويضرب امثلو واقعية تدلل على ان التطور التقني اسبق من التطور المعرفي ومن ان التطور المعرفي لا يغني اتجاه التقني ومن ان نظام نازي كنظام هتلر في المانيا بلغ مجده التقني والعلمي والفني وبلغ القمة في التقدم في حين كان نظاما دكتاتوريا قائما على الغاء الاخر بل وقتله.

بينما تجد هذا التقدم ذاته في ظلال نظام راسمالي – اقطاعي امبراطوري كاليابان الحديثة ،اضافة الى وجود هذا التحول العلمي الكبير في ظلال انظمة راسمالية ديمقراطية كبريطانيا وفرنسا وامريكا وانظمة شيوعية كالنظام الروسي السابق والنظام الصيني الحالي وهنا يعلق سليم قائلا" وهكذا فهو ليس وقفا على اتجاه حضاري دون اخر، شريطة ان يجد اجواء مناسبة للانطلاق والنمو ،كالتشجيع والدعم المادي وغيرهما" وهذه المسالة قد شغلت بال الكثير من المفكرين الا وهي ايهما الاسبق الرؤية الحضارية والافكار الانسانية النهضوية ام التكنولوجيا ومنهم المفكر العلامة نوري جعفر والذي كان ايضا يناقش هذه القضية بالاسبقية هل هي التكنولوجيا أي ان التكنولوجيا سبقت الافكار الانسانية ام العكس حيث اشرت في كتابي" نوري جعفر رجل النهضة والاصلاح" الى ان العلامة نوري جعفر يسأل سؤالا مهما أيهما العامل الأسبق في التقدم وفي تطوير صاحبه: اهو التقدم العلمي والتكنولوجي؟ أم التقدم الاجتماعي؟ ويجيب بان التاريخ يدلل على إن الآراء الاجتماعية التقدمية هي الأسبق والاهم في هذا المجال.فقد ثبت إن الآراء الاجتماعية التقدمية هي التي تسبق التقدم العلمي التكنولوجي وتؤدي في الأصل التاريخي إلى تقدم المجتمع في أول الأمر وتمهد السبيل بعد ذلك وعلى أساسه إلى التقدم العلمي والتكنولوجي وتؤدي أيضا إلى تقدم العلاقات الاجتماعية والإسراع في سيرها.وهذا رأي مهم وغير مطروح من آراء نوري جعفر وكيف يقوم بربط التكنولوجيا بالاجتماع.

إنَّ الأفكار الاجتماعية التقدمية الجديدة هي التي تسبق أيضا حدوث الثورات الاجتماعية وهي احدى عوامل حدوثها.وهنا في هذه المسالة بالذات يذكر نوري جعفر امثلة صارخة على صحة هذه المسالة ومنها في انكلترا اثناء ثورتها المعروفة في بداية القرن السابع عشر وفي فرنسا في ثورتها في نهاية القرن 18 ثم ان التقدم العلمي والتكنولوجي بدوره يعمل على حصول تقدم لاحق في الفكر الاجتماعي وفي الحياة الاجتماعية عموما والشكل التالي يمثل هذه الدواليك:

التقدم في الافكار الاجتماعية ــــــــ تقود الى ــــــــ التقدم العلمي والتكنولوجي ــــــــ يقود الى ــــــــ التقدم في الفكر الاجتماعي والحياة الاجتماعية .

((شكل رقم 3))

اذن هنالك دورة تاثيرية تبادلية بين الامرين حيث تتبادل الافكار التقدمية الاجتماعية الاثر مع الافكار العلمية التكنولوجية وتتطور بتطورها، وهذا الفكر في راينا يعد نظرية كبرى انتجها نوري جعفر ولم يتطرق اليها احد من معاصريه كأثر اساسي لتقدم المجتمعات.

كما ثبت تاريخيا ان التقدم العلمي والتكنولوجي كان وما زال وسيبقى احد العوامل الايجابية لحدوث الثورات الاجتماعية التقدمية وهذا ما حدث في فرنسا حيث حدوث التقدم العلمي الذي ساهم في حدوث الثورة الفرنسية في نهاية القرن 18 وانهيار نظام الاقطاع. اذن الافكار الاجتماعية التقدمية والتقدم العلمي والتكنولوجي كلاهما يساهمان في عملية حدوث الثورات الاجتماعية التقدمية والشكل التالي يوضح هذه المسألة:

الافكار الاجتماعية التقدمية + التقدم العلمي والتكنولجي ــــــــــــــ يقودان إلى ــــــــــــ الثورات الاجتماعية التقدمية.

((شكل رقم 4))

ولكن قد يتعارض هذا المبدأ مع آراء كوبرنيكوس وغاليلو فقد كانت أفكارهم علمية وسابقة لأفكار اجتماعية فمن الممكن الإجابة عن هذا التعارض بالقول إنها أفكار علمية كان لها تأثير ايجابي مباشر في الأفكار الاجتماعية بل كانت صدى للحركة الإنسانية التي نشأت آنذاك في المدن الايطالية وعبرت عن نفسها في آراء دانتي وروفائيل وأنجلو ودا فنشي ثم في أوربا الغربية لدى شكسبير وجوته ودون كيشوت وغيرهم كثير[1]. وبالتالي فسليم نحن نختلف معه من ناحية ان التقدم التكنولوجي ليس له علاقة بالتقدم الفكري بل هو الذي يمهد للتقدم التكنولوجي ولكن ليس في كل الاحيان والادلة التي ضربها سليم في هذه النقطة مهمة من ناحية التقدم التكنولوجي في ظل الدكتاتوريات التاريخية كالمانيا النازية وهذه رؤية مقارنة اوردناها بين المفكرين نوري جعفر وعز الدين سليم.

[1]– ياسر جاسم قاسم، نوري جعفر رجل النهضة والاصلاح، ط1، دار رند، دمشق، 2011، ص 56-57-58

الرابع عشر: التحولات الناتجة عن هذه النظرية

ان هذين المحورين – تحجر المؤسسات الفقهية الرسمية للشيعة او السنة أي ان سليم لم يحددها وربط التحول العلمي في اوربا بافكارها المتبناة قد وفرا فرصة لتصور نوع من الصراع بين الاسلام ومبادئه من جهة والتقدم العلمي من جهة اخرى ولو بقي الامر المذكور كما يشير سليم فكريا لهان الامر، الا ان ذلك التصور تحول الى صراع علمي بين قوى ومؤسسات ورجال فكر، وقد ظهرت على مسرح الاحداث عدد من الاتجاهات نتيجة هذه الفكرة تدعو الى:

اتجاه يدعو الى التخلي عن الاسلام واعتباره مبادئ مرحلية عفا عليها الزمن وهو اتجاه الاحزاب الشيوعية في العالم الاسلامي والقوى الاشتراكية المتاثرة بها ويذكر من الاسماء لهذا الموقف شبلي شميل مثلا طبعا وسلامة موسى.

اتجاه يدعو الى تطوير الاسلام بما ينسجم مع الحضارة الاوربية المعاصرة ويتولى هذا الخط تفسير الاسلام ومبادئه وافكاره تفسيرا ديمقراطيا او اشتراكيا وما الى ذلك.ويضرب سليم امثلة في مجموعة مؤلفات كان قد اطلع عليها تبنت تفسير الاسلام بهذا الشكل: منها ديمقراطية القومية العربية: د.عبد الله العربي، المجتمع الاسلامي بين النظرية والتطبيق: البهي الخولي، اشتراكية الاسلام:د.مصطفى السباعي، الاسلام بين الانصاف والجحود: عبد الغني حسن وغيرها من المؤلفات. حيث طابقت هذه المؤلفات بين الشريعة الاسلامية والمذاهب الاجتماعية والسياسية الحديثة، الامر الذي يقود الى اضفاء الشرعية على تلك المذاهب الوافدة وتوفير الارضية لقبولها .ونحن نختلف مع سليم بان اصحاب هذا الاتجاه يضفون شرعية على هذه المذاهب الوافدة بل الصحيح ان هذه المذاهب تتنافى مع مبادئ الاسلام فالاسلام ليس فيه ديمقراطية وليس فيه اشتراكية او غيرها من الامور بل هو دين

بنصوص ثابتة من غير الممكن التحكم بها فلذلك ان تسلط الثابت على المتغير هذا امر غير صحيح فسليم نفسه قد قبل بهذه الامور الوافدة كالديمقراطية مثلا.

دعوة تنادي بالانغلاق على الذات، والاكتفاء بالموروث من المفاهيم الاسلامية والصور التطبيقية الماضية للشريعة ورفض كل ما عدا ذلك من فكر، ومفاهيم وعلم وتقنية وقد ظهر هذا الاتجاه المنكفئ على الذاتي اليمن وافغانستان وغيرها من البلاد الاسلامية كما جسدته كما يشير سليم بعض المؤسسات الفقهية التقليدية والاتجاهات الصوفية وتكايا الزهاد والمتصوفة في السودان وغيرها. ويعلق سليم برؤية حضارية حول هذا الاتجاه قائلا" ان هذا الاتجاه سرعان ما طواه الزمن عبر تغييراته المتسارعة بالنظر لمخالفته روح الاسلام ومطالب الحياة الانسانية المتجددة" ويعتبر ان اصحاب هذا الاتجاه قد اخطأوا المنهج السليم في موقفهم المذكور وكذلك الموقفين الذين ذكرناهما.

والمتبين لرأي العلامة سليم بهذه الامور فهو يختلف جذريا مع اصحاب الاتجاهات السياسية الثقافية الثلاثة مارة الذكر فهو يدعو صراحة الى ابعاد الاسلام كدين في الحكم وعدم ادخاله السياسة لكي لا يفشل ويدعو الى تبني نظرية الديمقراطية وحقوق الانسان والفدرالية وغيرها من الاتجاهات السياسية الوافدة والتي تتناغم مع مطالب الحياة الانسانية المتجددة كما انه يرفض اتجاه الانغلاق على الذات بتاتا ويعتبره منافي لروح الاسلام ومطالب الحياة المتجددة كما مر بنا وبالتالي فهو يريد ان يوضح للعالم اجمع الرؤية الحضارية الموجودة في الاسلام والقادرة على ان يكون الاسلام متقبلا للاخر ومنتجاته بمبدأ الاقتباس المشروط. وفي هذا المجال نورد ما يؤكد حديثنا من ان سليم دعا الى ابعاد الاسلام عن الحكم في بلده العراق وتبني الانظمة الديمقراطية الغربية وغيرها يقول سليم "انا اجد ان الظروف المحيطة بالمشروع الاسلامي في الوقت الحاضر معقدة جدا فالوضع الداخلي معقد من الناحية الثقافية ،فهناك القومية والطائفية والجهل بالاسلام،

وضعف الوعي الديني وضعف التنظيم الاسلامي ،وغير ذلك اضافة الى ان النظام السابق قد اوصل العراق الى كونه دولة مستعمرة اليوم، اضافة الى التدخلات الاقليمية في العراق ، لذا فان الهدف الاسلامي ،أي هدف تطبيق الاسلام في هذه المرحلة بعد سقوط النظام مباشرة يحتاج الى تامل شديد ،فهل بمقدور الاسلاميين في هذا الوضع المعقد، ان يروا من المصلحة ان يقحموا الاسلام في هذا الوضع المزري جدا، وفي بلد جائع مدمر مستعمر، مدين للعالم، فيحملوه كل التبعات القائمة في وضع البلد فتفشل تجربته امام هذا الزخم من المشاكل المدمرة؟هذا اذا افترضنا قدرتنا على احكام السيطرة على البلاد والعباد، وهذا ما لا اعتقد به انا شخصيا ولذا وبناء على هذه النظرة الواقعية لظروف البلد، ارى من الضروري ان يكون لنا هدف مرحلي لا تتحمل به تبعات كثيرة ولا نحمل الاسلام العزيز"[1]والواضح من كلام سليم التاكيدات التالية:

ــ عدم قدرة الاسلام على حل المشاكل العالقة الكبيرة المتمثلة بوجود الاستعمار كما يسميه سليم وكون العراق بلد جائع انذاك ومدمر تماما.

ــ اعتبار سليم ان الاسلام هو دين يجب ان يوجد تحت ظروف ناعمة وجميلة يستطيع من خلال هذه الظروف ان ينشر سماحته وروعته للجميع.

ــ استبدال الاسلام كنظام في مثل هذه الظروف بالانظمة الوضعية المتمثلة بالديمقراطية والفدرالية كونهما اقدر على حل المشاكل من الاسلام نفسه.

---

[1] – في جوابه عن سؤال وجه اليه مفاده" ارايناكم تتحدثون عن ضرورة تبني الفدرالية للعراق كله، وتؤكدون على الاسلاميين ان يتبنوا هذا المشروع السياسي فما هي مبرراتكم الاساسية في هذا الطرح.

هذا التفسير ينطلق دائماً من موضوع الصراع بين القديم والحديث فسليم يدعو صراحة الى الاخذ من الموروث بما ينفع الحاضر وترك الموروث السيء والاستفادة من التجديد والمعاصرة بما يضمن مواكبة مطالب الحياة الانسانية.

وبالرجوع الى المفكر المغربي محمد عابد الجابري فقد وضح هذه المواقف الثلاثة تماما كما اوضحها سليم حيث يعتبر الجابري ان هنالك ثلاثة اتجاهات او مواقف حول سؤال النهضة تماما كما عبر سليم في ما مضى من السطور، هذه المواقف تبلورت في القرن الماضي وما زالت تتكرر بصورة او باخرى الى اليوم :موقف يرى النهضة والتقدم في تبني الحداثة الغربية والقطيعة مع عصر الانحطاط وما قبله من العصور العربية الاسلامية، وموقف يرى على العكس من ذلك ان النهضة والتقدم لا يمكن ان يتحققا للعرب والمسلمين اليوم الا بما تحقق لهم به في الماضي مجدهم ورقيهم وهو ما اسماه سليم الانغلاق على الذات والانكفاء وبالتالي يجب الرجوع الى سيرة السلف الصالح، والاقتداء بها، اما الموقف الثالث فهو موقف التوفيق بين الموقفين السابقين ويدعو الى الاخذ من الحداثة الاوربية ما لا يتناقض مع قيمنا الدينية والحضارية ومن التراث العربي الاسلامي ما يساير العصر الحاضر ومتطلبات التقدم وهو موقف عز الدين سليم تماما ولكن يضع سليم له شرط بان لا يكون هنالك مزجا بين الاسلام والمفاهيم الوافدة كمعاني من قبيل الاسلام ديمقراطي او ما شابه فسليم لديه رؤية ان الاسلام شيء والديمقراطية شيء اخر لذلك دعا الى الحكم بها وترك الاسلام في هذه المرحلة كنظام حكم لعدم استيعابه وقدرته لحل المشاكل.

الخامس عشر: محمد عابد الجابري وعز الدين سليم ورؤيتهما في المواقف من الغرب

ويعتبر محمد عابد الجابري المشرعين للنهضة والتقدم في الوطن العربي باختلاف اتجاهاتهم الايديولوجية واذا كان موقف التوفيق ياتي عادة في اخر الترتيب عند التصنيف فانه لا يعني بالضرورة انه الاخر زمنيا، بل يمكن اعتباره الاسبق، :فالطهطاوي وخير الدين التونسي مثلا، وهما اسبق زمنا ،كانا اقرب الى الموقف التوفيقي منهما الى الموقفين الاخرين اللذين يرتبط اولهما بشبلي شميل (وهذا ما ذكره سليم ايضا) وسلامة موسى ويرتبط الاخر بجمال الدين الافغاني ومحمد عبدة1 ولكننا نختلف هنا جذريا مع راي الجابري الذي يعتبر ان الافغاني وعبدة كان موقفهما بالرجوع الى السلف نعم لم تخلو دعوتهما من هكذا شيء ولكن كانا يدعوان الى الاخذ من الغرب بما يتلاءم مع الموقف الاصلاحي وفق مبدئ الاقتباس المشروط وهذا مما اغفله الجابري للاسف. على ان التسلسل التاريخي لا يهمنا هنا فالمراجعة النقدية التي نقوم بها هي مراجعة للمواقف والافكار كأطروحات وليس تتبعا لتسلسلها الزمني، وتتلخص اطروحة الموقف الذي يدعو الى القطيعة مع التراث في القول بضرورة الاخذ بالحداثة الاوربية في مختلف الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية وصرف النظر تماما عن الماضي العربي الاسلامي وما خلفه من تراث ينتمي الى العصور الوسطى التي هي مرحلة مضت وتجاوزها التطور فهو يدعو صراحة الى الحفاظ على اصالة الاسلام عن طريق الحفاظ على محور الافكار والتشريعات والمفاهيم التي تتناول الحياة والمجتمع والانسان والدولة فالاسلام له نظرته الخاصة التي تؤكد مصير الانسان وخلقه ومصدر الوجود فينبغي الحفاظ عليها وهذا هو راي سليم كاسلامي همه المحافظة على المبادئ الاساسية في الاسلام. وما اود التركيز عليه، ان هذه الامور ما لم يتم

[1] – د. محمد عابد الجابري، المشروع النهضوي العربي مراجعة نقدية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط3، 2009، ص121

التطرف في المحافظة عليها لا تؤثر على مسار النهضة الإنسانية المجتمعية المنشودة

الدعوة من قبله الى الأخذ تماما بمحور التقدم المدني المتعدد الوجوه والابعاد، الذي يمثله التطور في علم الطب والفلك وعلم الفضاء والكيمياء والهندسة والنبات والجيولوجيا والصناعة بافاقها المتعددة وغير ذلك :ان هذا اللون من التقدم والنمو في مسيرة الحياة الانسانية انما يشكل امتدادا لجهود العديد من الحضارات والنتاجات التي حققها البشر عبر ثلاثين حضارة شهدها هذا الكوكب وفي ذلك يستند سليم حول هذه المعلومة على راي العالم الانكليزي توينبي:

من ان البشر عبر تاريخهم الطويل قد اقاموا ثلاثين حضارة توارثت الاخذ بزمام امر الانسان وصياغة حياته.

ويعتبر سليم ان اوربا قد قفزت بالعلم بافاقه العديدة قفزات واسعة لما استفادته من الخبرات السابقة، واضافت اليه تجربة العلماء والخبراء والفنانين الجديدة،وهذا النمط من العلم مما يشجعه الاسلام كما يعبر سليم، ويحث اتباعه على المساهمة في اثرائه وتطويره.

السادس عشر: رؤيتا سليم والجابري المتطابقتان في النظر الى التراث

والسؤال المهم الذي يطرحه محمد عابد الجابري كدلالة لرفضه رفض التراث هو عين ما يذهب اليه عز الدين سليم والسؤال :ان الاخذ بالحداثة الاوربية والاعراض عن التراث العربي الاسلامي وبتره او الالقاء به في سلة المهملات كما عبر بعض متزعمي هذا الموقف، او القطيعة معه كما نعبر اليوم، يقتضي في الوقت نفسه الاعراض، عن التراث الاوربي الذي انبثقت منه الحداثة والقطيعة معه تماما كما فعل الاوربيون ،فهل يمكن تحقيق هذه القطيعة المزدوجة؟

لقد كانت الحداثة في اوربا كما يشير الجابري مرحلة من التطور توجت مراحل اخرى ، من تاريخ اوربا نفسها، ومع ان ايدلوجيا الحداثة تنادي بالقطيعة مع الماضي لان الحداثة تكفي نفسها بنفسها، فان هذه القطيعة لا تكون مشروعة ومفهومة الا داخل سلسلة واحدة من التطور ،ان الحداثي الاوربي عندما ينادي بالقطيعة مع ماضي التجربة الحضارية التي ينتمي اليها انما يقطع مع شيء تربطه به علاقة ، نسب شيء كان له بمثابة الاب للابن، فالاب يبقى حاضرا في الابن دوما حتى عندما يحل هذا الاخير محله ويصبح بدوره ابا ،وبعبارة اخرى، ان القطيعة هنا لا تعني مجرد قطع الروابط او اعلان العداء بل القطيعة في المجال التاريخي هي تتويج لعملية امتلاء واشباع ،ان القطيعة مع مرحلة تاريخية ما سواء على مستوى تاريخ الفرد او تاريخ الجماعة ،انما يكون لها معنى ويكون الحديث عنها مشروعا عندما يتم الامتلاء منها عندما تستنفذ كل امكانياتها وبعبارة اخرى لا معنى للقطيعة مع شيء لم يعشه الانسان ولم يمتلء منه ويتشبع به.

وهكذا يسجل الجابري بداية ان نقطة الضعف الاساسية في اطروحة هذا الاتجاه الحداثي في مشروع النهضة العربية كامنة في كونه اذ ينادي بالاخذ بالحداثة الاوربية يتجاهل ان ذلك يتطلب القطيعة مع ماضي هذه الحداثة نفسها، بعد الامتلاء منه، والحال ان العرب لم يعيشوا ذلك الماضي ولا تشبعوا من معطياته، ومن منجزاته، ان قيم الحداثة الاوربية، قيم لها تاريخ ولايمكن ان تتأسس في وعي لم

يعش هذا التاريخ بصورة او باخرى ، واذا كان من الممكن للفرد العربي، الذي درس في اوربا او في المدارس الحديثة في بلده والذي لم يرتبط بسبب من الاسباب بالثقافة العربية الاسلامية، واذا كان من الممكن لمثل هذا المثقف العصري ان يستعيد في وعيه عن طريق الدراسة جوانب من تراث اوربا وينخرط في اشكالياته، فانه من الممكن فعلا ان تتاسس قيم حداثة في وعيه، ولكنه سيكون في هذه الحالة كائنا بيولوجيا عربيا لبس الثقافة الاوربية وصار واحدا من ابنائها، والحق ان هذا هو ما حصل لدعاة اطروحة الاخذ بالحداثة الاوربية وفي نفس الوقت التخلي عن التراث العربي الاسلامي، وهنا يعتبر الجابري ان العرب المسيحيون على سبيل المثال منهم وجدوا انفسهم رغم تمسكهم بعروبيتهم غير مرتبطين اصلا بالتراث العربي الاسلامي، وهذا كلام ليس من حق الجابري الاشارة اليه فكيف يريد من المسيحيين العرب ان يرتبطوا بالتراث الاسلامي الذي يختلف عن تراثهم من ناحية العقيدة او يرتبطوا بالتراث العربي واغلب قومية المسيحيين في العالم العربي تنتمي الى الارمن والكلدان والاشوريين والمارونيين وغيرهم وقليل منهم عرب. وحتى تاريخ المسيحيين العرب يختلف عن تاريخ المسلمين العرب ،فلا يجوز باي حال من الاحوال القطيعة مع التراث كليا ولا الامتزاج مع الغرب كليا لنفي الهوية الحضارية وهذا ما اكد عليه سليم كما مر بنا من ناحية تاكيده على مسالة التاكيد على الاخذ بالجوانب الحضارية المدنية وحقل التنظيمات الادارية والمالية والعسكرية وتنظيم المصارف والمرور وتنظيم العمال والطلبة ،ودوائر الدولة والجيش والشرطة وتنظيم البريد وتوزيع المال على المحتاجين وما الى ذلك، فان الاسلام لايرى باسا في الاستفادة منها، سواء اكانت من نتاج اوربي ام اسيوي باعتبارها تجارب حضارية تخدم مسيرة الانسان، وتساهم في تحقيق السعادة له.

ان التقسيم الذي تبناه سليم لنتاج الحضارات التي ينتجها الانسان عبر ظروفه الزمكانية، يشكل حالة واقعية لترتيب العلاقة العملية بين القديم والحديث ،في الوقت الذي ننتفع فيه بالجديد الايجابي وليس الجديد السلبي كما انه في الوقت ذاته يوفر فرصة لاجتثاث نظرية تطوير الاسلام حسب ارادة النفوذ الاستعماري من جذورها على ما يشير سليم على الرغم من اختلافنا عن هذه النظرة فيجب ان يطور الواقع

الاسلامي بما يخدم المصلحة العامة للمجتمع ولكن حسب ارادتنا وليس وفق ارادة الغير كما يشير سليم.

ان وضوح هذا الموقف في اذهان المفكرين الاسلاميين هو الذي يدفعهم اليوم كما يقرر سليم لخوض معركة المصير من اجل ان يستأنف الاسلام وجوده الحضاري في الارض في دورة تاريخية جديدة تستوعب المرحلة وتدرك متطلبات الساعة فحسب قول سليم هذا فان الاسلام يمر اليوم بدروة انحطاط وتخلف يشير اليها سليم ويأمل سليم ان يتجلى الموقف الحضاري في ان يدخل الاسلام بدورة من التحضر جديدة بعد سيادة التخلف طوال قرون.

وفعلا نادى سليم كما اخرون كالجابري مثلا حيث يشير بتحديث المجتمع كله بواسطة التعليم والصحافة والكتاب والاذاعة ووسائل النشر والاتصال الاخرى[1] وسليم طالب كما مر بنا بتنظيم حقل التنظيمات الادارية والمالية والعسكرية وتنظيم المصارف والمرور والتعليم[2] وقد تم فعلا هذا التطوير الذي اشار اليه المفكرين سواء زمن الاستعمار والحمايات والانتداب او زمن الاستقلال اذ نقل التعليم المطبق في اوربا الى معظم بلاد العالم العربي وهناك اليوم لدى العرب ملايين من المتخرجين من هذا التعليم الحديث الذي لا تحتل فيه المواد التراثية العربية الاسلامية الا حيزا ضيقا، وهو في كثير من الاحيان اقل من الحيز المخصص للمواد التراثية الاوروبية (لغة ،اداب ، تاريخ..) ومع ذلك فقيم الحداثة الاوربية لم تتعمم حتى في صفوف طلبة المعاهد كما يشير الجابري والكليات العلمية التي تخلو برامجها من اللغة العربية كلغة تدريس . ان الباحث لا يستطيع الا ان يسجل في الواقع العربي الراهن الظاهرتين التاليتين:

---

[1] – محمد عابد الجابري، المشروع النهضوي العربي ،مراجعة نقدية ، ط3، بيرت، ص123

[2]– سليم، الاسلام وتطورات الزمان، رسالة الرافدين، المركز الوطني للدراسات الاجتماعية والتاريخية .

ان تيارات التطرف باسم الدين والتراث موجودة بقوة في المعاهد والكليات العلمية العصرية التي لا علاقة بها بالتراث والدراسات التراثية.

ان النتيجة العامة التي اسفرت عنها عمليات التحديث في العالم العربي هي هذا الانشطار الثقافي :نخبة تتخذ الثقافة الاوربية المعاصرة مرجعية لها، ونخبة تتمسك بالمرجعية الثقافية العربية الاسلامية، هذا على صعيد الفكر والثقافة، اما على الصعيد الحضاري العام، فالانشطار يعرض نفسه بقسوة وتحد من خلال الفوارق الواسعة والعميقة بين نمط الحياة الريفي والبدوي ونمط الحياة في الاحياء العصرية من المدن، ان القرون الوسطى تعيش في الوطن العربي المعاصر على مختلف الاصعدة الاقتصادية منها والاجتماعية والثقافية والسياسية.

ويشير الجابري بما يؤيد رؤية سليم بضرورة الاخذ من التراث التنويري والاقتباس الممنهج من الغرب بان الذين طالبوا بتبني الحداثة الاوربية والتخلي عن التراث، فقد تراجع كثير من رواد هذه الدعوة في مراحل معينة من حياتهم واعترافهم بخطأ المواقف التي اتخذوها ان قائمة هؤلاء المتراجعين طويلة وتمتد على مدى هذا القرن كله، منهم الذين تراجعوا بصمت وانكمشوا في نوع من اليأس ومنهم من اعلن تراجعه ومارس نوعا من النقد الذاتي امام الملأ، من هؤلاء شخصيات فكرية معروفة نقتصر على ذكر بعض الذين غادروا الحياة منهم امثال منصور فهمي، ومحمد حسين هيكل واسماعيل مظهر وطه حسين ومصطفى عبد الرازق والدكتور زكي نجيب محمود، وكثير من الاحياء.

ومهما يكن فان النتائج العملية لعملية التحديث كما مورست في الوطن العربي تجعل من الضروري اعادة النظر في الطريقة التي تعمل بها الحداثيون العرب مع الحداثة الاوربية التي اصبحت اليوم فعلا حداثة كونية هذا لاشك فيه، ومع ذلك فلا بد من التأكيد على ان كونية الحداثة الاوربية المعاصرة لا تعني استسلام، الخصوصيات الثقافية ولا ذوبانها، بل بالعكس فالتيارات الحضارية التي تعمم نفسها من فوق سواء بقوة السلاح او بالتفوق في مجال الاتصال والاعلام تثير من ردود الفعل ومن المقاومة ما يعرقل النمو الطبيعي ويدفع الى النكوص الى مواقف خلفية

للدفاع وحماية الذات، وبالتالي الى خلق كونية مضادة، حقيقية او موهومة ، وهذا ما يجري اليوم امام اعيننا، وتجديد الدين الذي يذهب اليه الجابري وسليم لا يعني الاتيان فيه بجديد فالنصوص ثابتة بل يعني الرجوع به الى صحيحه فالدين يبلى ويتقادم بما يتراكم في سلوك المسلمين من اعراف وتقاليد.

وفي نظرنا تحييد النصوص التي نزلت في ظروف معينة حاثة على رؤى قتالية وعدم بعثها في الحاضر لعدم اهميتها.

لقد راينا كيف ان الجابري وسليم اتفقا ان نقطة الضعف الاساسية في الموقف الحداثي في المشروع النهضوي العربي وهو الموقف الداعي الى الارتباط بالحداثة الاوربية وتبني قيمها ومواكبة حركتها تتمثل ليس فقط في تجاهله للتراث العربي الاسلامي واقصائه له بوصف ينتمي الى عصر تجاوزه التطور بل تتمثل اساسا في جهله او تجاهله ان تبني الحداثة الاوربية يتطلب القطيعة مع ماضيها مع التراث الاوربي الذي منه خرجت ، ان قيم الحداثة الاوربية لها تاريخ ولايمكن التمرد على تاريخها ما لم يكن هذا التاريخ جزءا من كيان المتمرد نفسه ما لم يكن يشكل بالنسبة له ذلك الماضي الذي يجره الانسان وراءه باستمرار ويسعى الى التخلص منه من حين الى اخر.

وبالانتقال الى الموقف الذي تبناه كل من الجابري وسليم من رجوع البعض الى الموقف السلفي الذي يربط التقدم بالرجوع الى سيرة السلف الصالح كما يسميه البعض والاقتداء بها فاننا سنجد ان نقطة الضعف الاساسية في هذا الموقف يشير اليها الجابري بانها تتمثل ليس فقط في تجاهله لطبيعة التقدم في عصرن لاسسه ومساره ومقتضياته والياته وهذا ما يشير اليه سليم ايضا كما وضحنا فيما سبق بل تتمثل اساسا في عدم، تمكنه من تحقيق قطيعة تامة مع ما يعبر عنه الجابري ب"الفهم التراثي للتراث" الشيء الذي لابد منه للارتفاع بالوعي التراثي الى المستوى الذي يمكنه من الارتباط بالحداثة المعاصرة كذات فاعلة مبدعة.وهنا نتوقف مع الجابري حول ارتباط التراث بالحداثة كذات فاعلة من ناحية الفهم الحقيق للتراث . فانا ارى ان الفهم للتراث يتلخص ليس فيما يذهب اليه الجابري من هذا الفهم بين التراث والمعاصرة بل من خلال تحليل التراث الى سلبي او

ايجابي وطرح السلبي منه واخذ الايجابي وهذا من باب او اخر يخضع لسيادة العقل والعقل ليس جديدا في الطرح كي نعتبره حداثة بل هو وجد مع وجود الانسان ولدينا في تراثنا نموذجا عمل العقل فيهم كثيرا الا وهو نموذج المعتزلة.كما وتقترن الدعوة الى الرجوع الى سيرة السلف الصالح في الاسلام باي نوع من السلف نرجع اليه فهنالك سلف صالح بنظر البعض وطالح بنظر البعض الاخر والعكس صحيح . فالمسلمون منقسمون تجاه السلف قسمين فالبعض ياخذ من السلف المتمثل باهل بيت الرسول والاخرون ياخذون رؤية السلف المتمثل بصحابة الرسول وهكذا هذه اول نقطة اساسية أي عدم الاتفاق على أي سلف يتبع المسلمين كما تقترن الدعوة الى الرجوع الى سيرة السلف الصالح في الاسلام برفض الواقع القائم والتطلع الى واقع جديد اكثر استجابة لطموح المسلمين الى تحقيق المثل الاعلى الاسلامي سواء على مستوى العقيدة "عدم الخضوع لغير الله" او على مستوى الشريعة والحياة الاجتماعية "سيادة الشرع والقانون والعدل في مختلف مجالات الحياة" ويعلق سليم على اصحاب هذا الموقف أي الاخذين من السلف والمطالبين بالرجوع اليه" بان اصحاب هذا الموقف يتحركون بدافع الاخلاص للاسلام واعرافه واحترام حدود الله في التشريعات الا انهم قد اخطأوا المنهج السليم في موقفهم الذكور " كذلك يعتبر الجابري ان اصحاب هؤلاء المبدأ قاموا على مفهوم ان الاسلام قام اصلا ضد الاستلاب للاصنام وما يرتبط بها من اعتقادات وسلوكيات تسلب الانسان حريته وتعطل قواه العقلية وتمنعها من تجاوز المعطى الحسي المباشر في فهمه للكون وطبيعة نظامه ونوع علاقته به ودعا الإسلام بدلا من ذلك الى نوع من الفهم الجديد لعلاقة الإنسان بالكون يقوم على ركيزتين أساسيتين: تكريم الله للانسان، وتسخيره الكون له، وقام الإسلام كذلك وفي الوقت نفسه ضد هيمنة الملأ من قريش وضد المستكبرين في الأرض وأنصاف المستضعفين وهذه التأكيدات من قبل الجابري تشابه تماما التأكيدات من قبل سليم.ومع ان المعتزلة قد عبروا عن هذين الجانبين الرئيسيين والأساسيين في الدعوة المحمدية بشعارهم التوحيد والعدل فان دخولهم في سجالات وصراعات مع خصومهم السياسيين والمذهبيين قد دفع بهم الى توظيف هذين المفهومين أي العدل والتوحيد توظيفا

مذهبيا كلاميا جنح بهما الى عالم الماورائيات مما صرف التفكير المعتزلي على ما يشير الجابري عن الارتباط المباشر بقضايا الإنسان والمجتمع وهي القضايا التي ارتبطت بها الدعوة السلفية في مختلف العصور موظفة هذين الركنين الإسلاميين الأساسيين التوحيد والعدل في محاربة البدع في العقيدة والنهوض في وجه الظلم السياسي والاقتصادي والاجتماعي.

ذلك هو معنى التجديد كما يشير الجابري في حقل التفكير الاسلامي، التجديد الذي يؤسسه في وعي المسلمين على ممر العصور الحديث النبوي" ان الله يبعث على راس كل مائة سنة من يجدد لهذه الامة دينها" وتجديد الدين لا يعني الاتيان فيه بجديد لم يكن فيه فذلك هو البدعة بعينها بل يعني الرجوع به الى جدته الاولى، او اعادة الجدة له والجدة ضد البلى :فكأن الدين يبلى ويتقادم بما يتراكم في سلوك المسلمين من اعراف وتقاليد وما ينتقل اليهم بالاختلاط وما يحدث فيهم من انحراف ويتفشى فيهم من ظلم واستبداد واستكبار ..فيأتي المجدد ل"يقطع" هذه التراكمات ويشذب السلوك ويعود بالدين الى حالته الجديدة الاولى التي جسمتها سيرة السلف الصالح.

وهذا الحديث للجابري يثير التساؤلات العديدة حول النظرة المتخلفة لديه حول ماهية التجديد وبعدد من النقاط نناقشها كالتالي:

التجديد يؤسسه حديث نبوي يشير اليه الجابري. وهذا هو قمة التخلف الفكري فالحديث النبوي لا يؤسس لتجديد وهو نص قد يكون منحول غير صحيح سيما انه لا معنى ان ياتي المجدد كل قرن لماذا لايكون المجدد كل 80 سنة او 70 سنة ومن يقول ان هنالك مجدد كل مائة سنة فلو تفحصنا تاريخ المسلمين لوجدنا ان المجددين بعضهم جاء في سنة واحدة ظهر اكثر من مجدد وبعضهم جاء بين 200 سنة واخرى وجاءت سنين عديدة تربو على 500 سنة بدون تجديد فلا اعلم كيف ان مفكرا كالجابري يعتمد على هكذا حديث ضعيف عقلا بغض النظر عن صحته من عدمها .هذا من باب.

التجديد لا يعني التجديد بالدين صحيح ولكن ايضا لا يعني الرجوع الى جدته الاولى فالرجوع الى جدته الاولى يعني التمسك بعقوبة الرجم والقتل بالسيف كما

تفعل السعودية بما يتنافى وقوانين حقوق الانسان كما لا يعني التجديد الرؤية حول الدين بتاتا فالتجديد بمعنى تجديد الاليات الفكرية التي انظر من خلالها للدين واعمل على تطويره وقراءته بما يتلاءم وروح التسامح الانساني أي ان سليم يدعو الى التجديد بقراءتنا للدين نفسه لان روح الاسلام تؤمن بالتغيير ويقول" الا ان هذا الاتجاه – أي اتجاه التمسك بالموروث فقط- سرعان ما طواه الزمن من عبر تغييراته المتسارعة، بالنظر لمخالفته روح الاسلام ومطالب الحياة الانسانية المتجددة " عز الدين – الاسلام وتطورات الزمن ، دراسة . وبالتالي يتبين ان سليم اكثر تطورا فكريا من الجابري الذي يدعو الى التجديد بالعودة الى الدين بجدته الاولى أي اعادة سيرة السلف.

هو يركز على مفهوم سيرة السلف الصالح والسؤال من هم السلف الصالح؟ اصلا فالسنة لديهم سلف متمثل بابي بكر وعمر وعثمان وعلي وغيرهم من الصحابة والشيعة لديهم سلف متمثل باهل بيت الرسول وتكفير الصحابة فمن هم السلف فمن اعتبره صالح من السلف هو طالح بنظر الاخر .هذا من جانب ومن جانب اخر فالسلف الصالح كان طالحا بالكثير من مواقفه فقد اذى الكثير منهم الشعوب التي غزاها المسلمون تحت عنوان تحريرها او فتحها فهي غزوات نهب من خلالها السلف الصالح حتى شبعوا والسلف الصالح برمته خاض معارك قتالية دامية ذهب جرائها العشرات نتيجة العنف الذي كانوا يعيشوه لذلك فالجابري في مقاربته الفكرية هذه يعتبر خارج اطار التجديد بل ان دعوته هذه هي قمة التخلف الفكري.

بل انه يعتبر التجديد في الدين هو بدعة وعز الدين سليم يعتبر ان التجديد هو روح الدين اصلا الدين مبني على مسايرة متغيرات الوقت فلنر البون الشاسع بين تفكير الرجلين سليم والجابري.وساتخدام الجابري للفظة بدعة تدلل على تاثره بالمؤسسة الدينية فالبدعة كلمة مقيتة كثيرا ما يستخدمها محاربوا التجديد والسلفيون من اتباع المؤسسة الدينية بشقيها السني والشيعي.

ويعتبر الجابري ان الموقف السلفي في المشروع النهضوي العربي الحديث لا يخرج عن هذا الاطار :محاربة البدع التي تراكمت في سلوك المسلمين واعتقاداتهم

(الاعتقاد بالاولياء والاضرحة والجمود على التقليد...) من جهة ومناهضة الظلم من جهة اخرى وقد كان يتمثل اكثر ما يتمثل في الاستعمار الاوربي واحتلاله لبلاد الاسلام اضافة الى استبداد الحكام المحليين وتعسفهم ،ويضيف الجابري ان موقف السلفية الحديثة قد نجح فعلا في تجديد الدين بالمعنى الذي تفيده كلمة تجديد في حقل التفكير العربي الاسلامي وهو ازالة البلى واعادة الجدة الاولى ،ففي مجال محاربة البدع حققت السلفية نجاحا باهرا على السلوكيات المجسمة للبدع في الدين كالاعتقاد في الاولياء والاضرحة والجمود على التقليد ومقاومة كل جديد والاعراض عن تحكيم العقل ومحاربة العلم ومنجزاته، وفي مجال تجديد الفهم للدين انطلاقا من نصوصه وما يرتبط بذلك من اصلاح اساليب التعبير العربية وممارسة التجديد في اللغة بقطع وازالة ما ترا كم فيها من مظاهر التخشب والجمود في هذا المجال حققت السلفية كذلك نجاحا كبيرا اذ اعادت للعقل اعتباره وللاجتهاد مكانته وعبرت عن قضايا الدين والدنيا بلغة مبسطة خالية من التعقيدات اللفظية والاسلوبية مما جعلها تقترب من افهام عموم الناس وقد حققت الحركة السلفية الحديثة هذه النجاحات ليس فقط بما نشرته من وعي ديني جديد بواسطة الكتاب والصحف والخطب بل ايضا بما انشأته من مدارس ومعاهد، وما بثته من روح وطنية كانت الوقود الذي حرك الشعوب العربية والاسلامية لمقاومة الاستعمار وتحقيق الاستقلال ومع ذلك كله يعتبر الجابري ان التجديد الذي قادته السلفية لم يحقق نجاحا في المجالات الاخرى التي تشل اليوم ميدان التحديث سواء على الصعيد السياسي او الاجتماعي او الفكري، كانت هناك محاولات واجتهادات للتقريب بين قيم الحداثة المعاصرة والاسلام فعلى سبيل المثال في المجال السياسي التاكيد على الشورى والديمقراطية ،وفي المجال الاقتصادي التاكيد على الوظيفة الاجتماعي للملكية والعدالة الاجتماعية وفي المجال الاجتماعي تعليم المراة وتاكيد حقوقها الشرعية، وفي المجال الثقافي الاخذ بالعلم الحديث ومنجزاته ولكن هذه المحاولات لم تعرف سبيلها الى التطور والتجذر بل بالعكس تعرضت للتضييق والتراجع بما قضى فيها على الروح التحديثية التي حركت روادها وفي مقدمتهم محمد عبدة والحق ان الرد على رؤية الجابري هذه تتخذ اكثر من منحى:

ان الموقف السلفي الذي يشيد به الجابري بما يسمى محاربة البدع يتعلق بموضوع حساس ومهم وتساؤلات عدة محاربة البدع التي يقصدها الجابري التمسك بالاضرحة التي يعتقد بها بعض طوائف المسلمين كالشيعة مثلا واعتقادهم بالاولياء وهذا ينظر له اليوم من واجهة حقوق الانسان وحرية الاعتقاد فيجب ان يحترم الانسان بما يعتقد فواحد يعتقد الا وجود لله والاخر يعتقد ان الاله تجسد بفلان واخر يعتقد ان الاولياء ينقذوه من ضيقه وهذا مما لا يجب محاربته كما فعلت السالفية بل هي ارادت تصحيح شيء ولكنها وقعت بالغاء الاخر والاستبداد والارهاب الفكري تجاهه من حيث لا تدري. نعم تقديس الاولياء شيء خطر جدا على الفكر الانساني والاعتقاد بقدسية البشر هذا امر خطير من يكن ذلك البشر ولكن ان تاتي وتحارب من يقدس بشر فانت ستقع بامر اخطر مما يفعله هذا الشخص الا وهو مصادرة حريته وارادته بما يؤمن وهذا ما اكدت عليه كل المواثيق والتعهدات الدولية ومن هنا يجب الاشارة الى امر ضروري وغاية في الاهمية الا وهو اننا كمثقفين ومفكرين علينا الانتباه الى الرؤية الاصلاحية للمجتمع الذي نشتغل عليه لا ان نردد كالببغاوات محاربة البدع ومن الذي يحدد البدع ولماذا نستخدم لغة بدعة وهي كلمة دينية متطرفة مقيته فالسلفية هي اخطر مما نراه من اتباع للاولياء لانها تعود بالاسلام الى رؤيته الاولى الخطرة جدا والتي من غير الممكن استخدامها اليوم.

كما ان الجمع بين مفاهيم كالديمقراطية والاسلام او الاشتراكية والاسلام فهذا ايضا غير صحيح في بابه فالاسلام دين ليس ديمقراطيا بل هو بعيد كل البعد عن هذا المفهوم المتحدر من الثقافة الغربية بالتالي فزج الاسلام بهذه الرؤية يعتبر من الاشكاليات التي تثار على الجابري الا وهو المواقف التوفيقية وهي ليست صحيحة بتاتا فالاسلام عرف الشورى وغيرها من الرؤى في منهاج واليات التعامل مع الرعية والشعب اما حكم الاكثرية فهو منطق ديمقراطي عمل عليه سليم واعتبر ان حكم الاسلام في بلد كالعراق مثلا من دون وجود الديمقراطية سيسهم اكيدا في فشل الدين في ايجاد اليات الحكم اللازمة لذلك.

السابع عشر: رؤية عزالدين سليم للمنهج السلفي

حيث يعتبر سليم ان تنامي هذا الاتجاه الذي ينادي بالعودة الى تراث السلف عقيدة وفقها في بداية امره بالتحرك كرد فعل على تنامي بعض الظواهر السلبية في حياة المسلمين اخذها بعض الفقهاء اخذا تجاوز حجمها الحقيقي. حيث يعبر سليم عن البدع بانها ظواهر سلبية ولا يستخدم هذه اللفظة الدينية المقيتة التي يراد منها تكفير الاخرين والغاء ادوارهم .

ونتيجة لتنامي هذا التوجه في مطلع القرن العشرين مؤسسات ومحاور تدعو لهذا الاتجاه وقد نجحت في اوساط بعض الاقاليم نجاحا نسبيا كما في الجزيرة العربية والهند ومصر وشمال افريقيا ويعتبر سليم ان حركة الاخوان المسلمين هي اهون في الطرح من الاتجاه السلفي المتطرف الذي يتميز طرحه للاسلام بالتشنج والتحفظ والانغلاق، وواضح جدا ان سليم يميز السلفية تمييزا واضحا بانها الحركة التي ارادت الاصلاح ولكنها عملت على الغاء الاخر كما سياتي اما الجابري فقد مزج بين اتجاه محمد عبدة السلفي المنفتح واتجاه السلفيين المتطرفين ويكمل سليم انه يجب ان ينسجم الطرح مع تحولات العصر الحديث الامر الذي يفتقر اليه الاتجاه السلفي هذا الذي يتميز طرحه للاسلام بالتشنج كما اسلفنا.ويعتبر سليم ان الحركات المعادية للاسلام قد شجعت على تبني الاتجاه السلفي وتمكينه للنمو في مختلف بقاع العالم الاسلامي واوربا وامريكا وافريقيا وغيرها ويضيف ان الريال السعودي قد لعب دورا خطيرا في تنفيذ هذا المشروع التخريبي لتزييف النهضة الاسلامية العالمية وينتقد سليم وبشدة وبرؤية نهضوية بارزة الارقام الهائلة للمشاريع السعودية ذات المضامين الدينية التي تمارس هذه العملية كالاف المساجد المنتشرة في العالم ومئات المؤسسات والمراكز اضافة الى ارقام هائلة من المؤلفات والمبلغين.

وبالتالي هو ينتقد صراحة الحركة الوهابية الخطيرة التي تمثل الاتجاه السلفي حيث يلعب هذا الاتجاه الذي تكرسه حكومة ال سعود دورا في اختراق بعض المؤسسات واستمالة الشخصيات ضمن مشاريع ومواقف متنوعة ويمكن تسجيل ارقام مذهلة حول هذه العملية الخطيرة في اوربا واميركا وافريقيا واندونيسا والباكستان كما ان سليم يرفض مفهوم الاسلام العصري اي المزج بين الاسلام والديمقراطية والاشتراكية ويعتبر ان الاسلام هو دين لا يصح ان يطبق مع هذين النهجين او غيرهما فهو مختلف تماما وهو مع الاسلام المنفتح وليس الاسلام العصري فلا يوجد اسلام عصري بل اسلام منفتح. ويعتبر سليم ان الاسلام العصري على الرغم من ضعفه وعدم جديته بالطرح وعدم صحة طرحه الا ان وجوده افضل بالتأكيد من السلفية المقيتة ومع ذلك فلم تلق مشاريع الاسلام العصري التي اراد لها البعض ان تروج ولا نجاحا يذكر في العالم الاسلامي فوضع الاستعمار ثقته بالاتجاه السلفي ودعمه نتيجة للامكانات المتاحة له بسبب انسجامه مع الاهداف السعودية اضافة الى ان مفاهيم هذا التوجه تحظى بالقبول من قبل اوساط لا بأس بها في الامة لقربها من عقائدها وفقهها بنحو من الانحاء.

ولا ينسى سليم ان يشير الى انه تتزامن مع الظاهرة السلفية حالة تشجيع ودعم أنصار بعض الطرق الصوفية كالشاذلية في مصر وغيرها.

يعتبر سليم ان هذه الاتجاهات الدينية تنسجم مع الاتجاه العام الذي يريد النيل من الاسلام لان الاتجاه العام وكما راينا في رؤى بعض المستشرقين لايريد اظهار النهضة الحقيقية للاسلام.

وان اغفال هذه المخاطر ومؤثراتها الناجمة عن هذه الاتجاهات الغريبة على الاسلام. ستكون له اضراره المستقبلية الهائلة على الاسلام ومسيرة المجتمعات. باتجاه النهضة[1] وان خير ما يمكن النهوض به لمواجهة هذه الاخطار في المرحلة

---

[1]- عز الدين سليم، ظواهر في خريطة العمل الاسلامي، مجلة المنطلق ــ العدد29 ، لبنان/1985،ص14

الحاضرة هو دعم مسيرة الوعي الاسلامي في العالم واسناد مؤسسات قادرة على انتشال الاسلام من الواقع السلفي الذي يحيطه اليوم.

ومن المظاهر السلبية التي يشخصها سليم بالاضافة الى انتشار المد السلفي في العالم الاسلامي هو انخفاض منسوب العطاء الفكري الاسلامي وكذلك يشير سليم الى امور كانت في عهد كتابته للدراسة هذه وهي الان ليست بذات جدوى ومن المظاهر السلبية في العمل الاسلامي وتوقف النهضة الاسلامية هو ظاهرة العنف كما يسميها سليم في العمل الاسلامي وهي من ابرز الظواهر التي شهدتها ساحة العمل الاسلامي وهو في هذه الدراسة يتماشى معه ويعتبره احد ضرورات المقاومة وهذا كان بسبب شعوره بالظلم بسبب حكم النظام السابق اما فيما بعد فقد تخلى سليم عن هذه الظاهرة واعتبرها احد ظواهر الارهاب اي عمل مسلح في العمل الاسلامي اعتبره سليم ارهابا. وهو قد احطأ بتسمية الظاهرة المقاومة بالعنف كما اسلفنا في مناقشة هذا الموضع فيما سبق.

ان النتائج التي استخلصها الجابري من التجربة السلفية الحديثة تمثلت بالشيخ المصلح محمد عبدة وتجربته الاصلاحية المتعلقة بالسلفية الحديثة والموقف التراثي الذي يربط النهضة والتقدم بالعودة الى التراث ولا يفوتنا ان نعتبر ان الجابري يشيد بالسلفية قاصدا منها محمد عبدة والاخرين المعاصرين له ولكنه لم يفرق بين السلفية التي تدعو الى الغاء البدع عبر استخدام اليات القتل واقصاء الاخر وبين السلفية التي تبناها محمد عبدة التي تدعو الى تحرير الفكر، لذلك يعتبر خلطه في معاني السلفية خلطا غير مبرر وغير مقبول.وخاطئ جدا اما الموقف الذي يخلص اليه محمد عبدة في نتائج تجربته الاصلاحية فيقول عبدة " ارتفع صوتي بالدعوة الى امرين عظيمين، الاول تحرير الفكر من قيد التقليد، وفهم الدين على طريقة سلف الامة قبل ظهور الخلاف والرجوع في كسب معارفه الى ينابيعها الاولى، واعتباره من ضمن موازين العقل البشري التي وضعها الله لترد من شططه، وانه على هذا الوجه يعد صديقا للعلم باعثا على البحث في اسرار الكون داعيا الى احترام الحقائق

الثابتة ،مطالبا بالتعويل عليها في ادب النفس واصلاح العمل، والامر الثاني :اصلاح اساليب اللغة العربية في التحرير سواء في الخطابات الرسمية او في المراسلات بين الناس..." ويضيف الشيخ عبدة" وهناك امر اخر كنت من دعاته والناس جميعا في عمى عنه، ولكنه الركن الذي تقوم عليه حياتهم الاجتماعية، وما اصابهم الوهن والضعف والذل الا بخلو مجتمعهم منه وذلك هو التمييز بين ما للحكومة من حق الطاعة على الشعب وما للشعب من حق العدالة على الحكومة، ولم اكن في كل ذلك الامام المتبع، ولا الرئيس المطاع، غير اني كنت روح الدعوة وهي لا تزال بي في كثير مما ذكرت قائمة، ولا ابرح ادعو الى عقيدتي في الدين واطالب اتمام الاصلاح في اللغة وقد قارب، اما امر الحكومة والمحكوم فتركته للقدر يقدره وليد الله بعد ذلك تدبره" ويعتبر الجابري ان السلفية الحديثة دون الاشارة الى محمد عبدة بانها نجحت فعلا في تحرير الفكر الديني من التقليد وفتحت الطريق امام باب الاجتهاد وعملت على اعادة الاعتبار للعقل وعلى تحقيق نوع من الاخاء بين العلم والدين كما ساهمت بمنشوراتها ومدارسها في تطوير اساليب اللغة العربية وتحريرها من قيود عصر الانحطاط كالسجع والمحسنات البديعية ولكن الدعوة السلفية لم تنجح في حل المعادلة التي استعصى حلها في الاسلام منذ اواخر خلافة عثمان المعادلة التي طرفاها :ما للحكومة من حق الطاعة على الشعب، من جهة و"ما للشعب من حق العدالة على الحكومة "من جهة اخرى.

وهكذا يعتبر راي الجابري في وجهة السلفية الحديثة امر مهم وقارب الصحة اذا كان المقصود بذلك محمد عبدة وهو قد قصد ذلك ولكن قضية محاربة البدع موضوع قد قارب فيه الجابري الصواب لان هذه البدع لدى جميع طوائف المشلمين وغيرهم اليوم هي من باب حقوق الاقليات والاكثرية داخل المجتمع ويجب احترامها ويجب بنفس الوقت اعتبار هذه الثقافات التقليدية التقديسية خطرا على قضية حرية الفكر والاشارة اليها بشكل لا يعمل على ضربها والغاءها والاخر يؤمن بها بل من

باب تفكيكها فكريا والقضاء على ايديولوجيتها عبر باب الحوار مع هذا الاخر ضمن سياق احترامه الفعلي.

للاسف هذا مالم نجده لدى الجابري في هذه القضية لاستهدافه حقوق الاخر بتسميات البدع ونحن دفاعنا عن الاخر من يكن هذا الاخر لان حقوق الاخر اليوم مؤمن بها الجميع في هذا العالم الوسيع.

بالتالي يتلخص موقف عز الدين سليم التوفيقي في المشروع النهضوي العربي الحديث في " نأخذ من الفكر الاوربي المعاصر ما هو ضروري لنهضتنا وتقدمنا ولا يتناقض مع قيمنا واصالتنا وناخذ من تراثنا تلك الوجوه المشرقة التي جعلت من حضارتنا ازهى الحضارات في عصرها والتي لا تتعارض مع متطلبات التقدم في العصر " وموقف سليم هذا الذي توصلنا اليه من التحليل لا يتوافق مع موقف التوفيقيين الذين يحاولون المزج بين الديمقراطية والاسلام على سبيل المثال او اقحام الاسلام في رؤى غربية حديثة لا مكان للاسلام فيها.

والموقف لسليم هذا لا تحده حدود لا في اتجاه التراث ولا في اتجاه الحداثة الاوربية ،بل هو موقف ينتشر انطلاقا من الوسط يمينا وشمالا هو حاضر في صفوف الحداثيين والتراثيين سواء بسواء وان كان لا يشكل كلا منسجما.

وهنا يقسم الجابري محمد عابد التوفيقيين للاقسام التالية:

من قرا قيم الحداثة الاوربية في تراثنا: يقرأ الديمقراطية في الشورى والعقلانية في دعوة القران الى استعمال العقل وفي تفكير المعتزلة وفكر الفلاسفة الاسلاميين ويقرأ الحرية والمساواة وحقوق الانسان في النصوص الدينية ، او فيما يروى من اخبار وطرائف حول سلوك هذا الخليفة او ذاك الاميروقد رفضه سليم معتبرا وكما اشرنا الى ان هذا النوع من التوفيقيين ذهبوا بعيدا باعتبار ان الاسلام يختلف عن الرؤية الغربية بتاتا .بل يدعو سليم الى تبني الديمقراطية الغربية وترك الاسلام لحكم العراق مثلا لعدم قدرة الاسلام على حكم بلد كالعراق محطم وعدم قدرة

الاسلام على الحل. اما الجابري فقد اعتبر ان اصحاب هذا المنهج قد اصبحوا ضمن مظهرين: انفتاحي وانغلاقي:

الاول: يريد فتح الباب امام قيم الحداثة الاوربية باثبات انها انما تعبر بلغة جديدة عن القيم نفسها التي يزخر بها تراثنا فالاخذ بها اذن لا يتعارض مع قيمنا بل انه بالعكس من ذلك استعادة لها واحياء اما الموقف الثاني فهو يقرر على النقيض من ذلك ان قيم الحداثة الاوربية موجودة عندنا ب الاصالة صورة ارقى واحسن خالية من شوائب العصر الحديث كالمادية وغيرها وبالتالي يكفينا الرجوع اليها لنحقق الاصالة ونستانف السير في طريقنا الى النهضة من جديد وهذين الوجهين الذين يسوقهما الجابري مرفوضان كليا وذلك لان الاخذ من الاوربيين كفكر يختلف عن فكرنا بتاتا ولا يشابهه وان القيم الاوربية حسب الوجه الثاني هي غير موجودة عندنا في تراثنا هذا كلام مغلوط جدا فهل الاشتراكية موجودة عندنا كما يقرر الجابري.

ومن التوفيقيين من قرأ تراثنا وقيمه في الحداثة الاوربية ،وهو موقف يكتسي هو الاخر مظهرين: مظهر انفتاحي واخر انغلاقي :الاول :يرى ان قيم الحداثة الاوربية هي من جملة الامور التي اخذتها عنا اوربا فالنهضة الاوربية انما قامت على ما اقتبسته من العرب والمسلمين ،فالاصلاح الديني في اوربا على يد لوثر وكالفن تاثر بالاسلام الذي يجعل العلاقة بين الفرد والله علاقة مباشرة بدون توسط ،والكوميديا الالهية لدانتي مقتبسة من رسالة الغفران للمعري والعلوم الطبيعية الاوربية الحديثة مأخوذة من علماء العرب كابن الهيثم وغيره، والطب الاوربي بقي الى القرن السابع عشر عالة على الطب العربي، والشك الديكارتي مستوحى من شك الغزالي كما ان الفلسفة الاوربية الحديثة تجد اصولها في الرشدية اللاتينية التي احتضنت اراء وشروح ابن رشد، واذن فنحن عندما ننفتح على قيم الحداثة الاوربية انما ننخرط في نفس الاساس الذي قامت عليه وهو عربي ،اما المظهر الثاني

الانغلاقي فهو اذ يبرز اقتباس اوربا من العرب والمسلمين واخذها عنهم يؤكد في نفس الوقت ان ما وصل اليه العلم الحديث من كشوف وما حققته الحضارة المعاصرة من منجزات كل ذلك موجود في تراثنا ،لانه ما من جديد في ميدان العلم الا ويؤكد ما تقرر في نصوصنا الدينية وغيرها اشارة او تصريحا والنتيجة هي ان ما عندنا يكفينا ويكفي الانسانية لو اننا عرفنا كيف نعود اليه وكيف نجتهد فيه ونستثمره ، وكلا الوجهين هذين ايضا غير مقبولين وذلك لان ما توصل اليه الغرب قد يكون من باب تاثره بالحضارة العربية ولكن الحداثة الاوربية الحديثة اليوم هي بعيدة كليا عن موقف ابن الهيثم او غيره اي ما اقصده العلوم الطبيعية في اوربا بالخصوص هي بعيدة عن موقف تراثنا وهذا مما وقع فيه الجابري وغيره من رؤى التوفيق.

اذن المبالغة بمفهوم الحضارة العربية والاسلامية وما اعطيناه للعالم انما هي مبالغة غير صحيحة في بابها بل علينا ان نقر باننا تاثرنا بالعالم واثرنا به ليس اكثر من ذلك وان العالم اخذ منا في فصول معينة من الزمن ثم تخلى وتطور اكثر واكثر.

الفصل العاشر

النظرة التربوية

أولاً: التربية لدى المفكر سليم

يعتمد سليم في تعريفات التربية على كل من الفيلسوف الألماني كانت" الغرض من التربية ان نصل بالإنسان الى الكمال الممكن".

وبستالوتزي السويسري "التربية هي تنمية كل قوى الطفل تنمية كاملة متلائمة وهربرت "ان الغرض من التربية هو تهذيب الاخلاق واكتساب الفضائل" وثورندايك"ان التربية اعظم مساعد للناس جميعا على تحقيق خيرهم المطلق"وجون ديوي "التربية هي صوغ وتكوين لفعالية الافراد، ثم صبها في قوالب معينة أي تحويلها الى عمل اجتماعي مقبول من الجماعة" ويعلق سليم عن هؤلاء "ولقد عرف التربية غير هؤلاء من الفلاسفة والمربين والمحدثين " دلالة على اهتمامه الشديد باراء هؤلاء الفلاسفة الغرب وافتاحه على الغرب بما يضمن تقويم المجتمعات.

والمعالم الاساسية للتربية في الاسلام يحددها سليم بالتالي:

1ـ الايجابية:

ويقصد منهاالاعتراف بكل طاقات الانسان المادية والروحية وتنميتها سوية فهو يشير الى اهمية الجانب الروحي في حياة البشرية ويشير كذلك الى ان هذا الجانب وجد في التاريخ البشري فهذا التاريخ لا يتناول استعراض حياة شعب من شعوب الارض او امة من الامم، الا ويشير الى الاله الذي عبدت والقوة التي قدست حيث تراوحت الالهة خلال الحقب التاريخية المتعاقبة بين عبادة النجوم والشمس وغيرها والنار والماء والحجارة. ويشير الى ضرورة تلبية المتطلبات الجسمية وضرورة تنمية الجانب المادي للانسان بالتماشي مع الجانب الروحي.

ثانياً: التناغم الفكري في النظرة الى محاربة العقل من قبل وعاظ السلاطين ووعاظ المساجد بين نوري جعفر وعزالدين سليم وعلي الوردي

كما يجب التركيز على مطالب العقل البشري ويشير بان العقل قد تعرض للحرب من قبل الكنيسة الكاثوليكية المالكة لازمة الامور طيلة القرون الوسطى الاوربية وقد كبلت العقل البشري وحالت بينه وبين التفكير الحر، وفرضت عليه معلومات ومفاهيم متناقضة اسمتها كما يشير سليم بالحقائق الكنيسية وعملت كل جهدها لاخراس اي صوت ينادي بخطأ وجهة نظرها في مسألة كونية او نحوها (والجميل ان هذه المعلومات قد استقاها المفكر سليم من العلامة نوري جعفر) من كتابه التربية وفلسفتها ،مما يدلل على ان العلامة جعفر وسليم متناغمان بالرؤية الفكرية تجاه القضايا المتعلقة بمحاربة العقل من قبل الكنيسة ومن قبل وعاظ السلاطين المسلمين حيث اشار سليم الى تحويل المسجد كما اشرنا الى عبارة عن رؤى من الاحلام والشعوذات والاساطير من قبل بعض الوعاظ الجهلة كما اشرنا واشار الوردي رحمه الله الى هذه القضية ايضا من ناحية نظرته للمعممين واشباه المثقفين.

واشار نوري جعفر كذلك الى هذه القضية حيث اشار نوري جعفر الى التناقض في تطبيق المبادئ داخل المجتمع ومنها "المحافظة على حرمة شهر رمضان" مثلا تتم في الاماكن العامة عن طريق وضع ستائر القماش على باب المقهى او المطعم ليظهر من فيه بمظهر الصائم بنظر المسؤولين كذلك التناقض في كيفية تادية الصلاة وما يجب ان تحدثه الصلاة لصاحبها على الواقع العملي من خلق شديد، واما المحافظة على كتاب الله فنراها مقتصرة على حفظ الفاظه مجردة ، كما يشير جعفر عن معانيها في كثير من الاحيان دع عنك عدم المحافظة على احكامه من الناحية العملية، وكثير ما يقيم وعاظ السلاطين " اشترك علي الوردي ونوري جعفر في اطلاق هذه التسمية على اصحاب الدين الظاهري، الذين يعظون الناس وهم غير متعظين" على القارئ الدنيا ويقعدونها اذا ما أخطأ لغويا في قراءته كلمة من كلمات

القران، ولكنهم يجيزون لأنفسهم، مخالفة نصوصه، في تصرفاتهم وتصرفات اسيادهم من الساسة والمتنفذين كما انهم يقومون بالتحايل على الدين لتبرير تصرفات اولئك الاسياد ،يتضح ان العلامة نوري جعفر كان يريد للمبادئ الحقيقية الانتشار وليس مبادئ الخداع والكذب ،والسؤال لو كان نوري جعفر حاضرا اليوم في العراق فماذا سيقول وماذا سيكتب؟ وماهي معالجاته ووعاظ السلاطين قد ملؤوا الافاق بكذبهم وافتراءاتهم والمؤسسة الدينية صادرت الحريات واغلقت الافاق باساطيرها وخرافاتها[1] وواضح جدا التشابه العجيب بين مطالب علي الوردي بنقد وعاظ السلاطين ونوري جعفر وعز الدين سليم اسماهم "وعاظ المساجد " كما اشرنا وهاجمهم مهاجمة شديدة.

فعلى الرغم من الاختلاف الفكري بين مدرستي علي الوردي وسليم لكنهما التقيتا في هذه الجوانب المشار اليها.

ويعتبر سليم ان الكنيسة قد سقطت امام تيار العقل وانتصر تيار العقل في النهاية اشارة الى الجهود الاوربية الجبارة في اعمال العقل. ويطالب سليم بالايمان بالعقل كحكم فصل في القضايا الفكرية ،ويجب ان يحرر من الخرافات والشعوذة ويجب ان يصان من الجمود كما يجب ان يعطى العقل الاولوية في تحقيق المنجزات العلمية والفكرية في الحياة الانسانية.

كما يجب ان تراعى حقوق الفرد والجماعة ضمن النطاق التربوي.

الواقعية وتعني في المجال التربوي الاخذ بنظر الاعتبار حالات الضعف الانساني ومدى قدراته على النهوض بالتزاماته التاريخية والرسالية في الحياة فهذه الواقعية مهمة في انجاح التربية.

الشمول والمرونة: اي شمول الجوانب كافة لـدى الانـسان بالـسلوك

1- ياسر جاسم قاسم، نوري جعفر رجل النهضة والاصلاح، دار رند، دمشق ، ط1، 2011، ص300-301

التربوي سواء كان منها المادي او الروحي، فالحياة دائما متطورة فلذلك من الضروري ان التربية تكون شاملة لكل انواع التطور المساير للانسان، فالتطور حسب مالك بن نبي يشمل الافكار والعقائد والتصورات والتشريع وقد اقر سليم بهذا الموضوع حسب ما اشار في كتابه" مبادئ التربية الاسلامية" حيث اعتبر ان التطور الذي يجب ان تواكبه مبادئ التربية الاسلامية لكي تنجح الاشكال المادية في حياة الانسان.

ويعتبر سليم ان الكنيسة قد سقطت امام تيار العقل وانتصر تيار العقل في النهاية اشارة الى الجهود الاوربية الجبارة في اعمال العقل. ويطالب سليم بالايمان بالعقل كحكم فصل في القضايا الفكرية ،ويجب ان يحرر من الخرافات والشعوذة ويجب ان يصان من الجمود كما يجب ان يعطى العقل الاولوية في تحقيق المنجزات العلمية والفكرية في الحياة الانسانية.

كما يجب ان تراعى حقوق الفرد والجماعة ضمن النطاق التربوي.

الواقعية: وتعني في المجال التربوي الاخذ بنظر الاعتبار حالات الضعف الانساني ومدى قدراته على النهوض بالتزاماته التاريخية والرسالية في الحياة فهذه الواقعية مهمة في انجاح التربية.

الشمول والمرونة: اي شمول الجوانب كافة لدى الانسان بالسلوك التربوي سواء كان منها المادي او الروحي، فالحياة دائما متطورة فلذلك من الضروري ان التربية تكون شاملة لكل انواع التطور المساير للانسان، فالتطور حسب مالك بن نبي يشمل الافكار والعقائد والتصورات والتشريع وقد اقر سليم بهذا الموضوع حسب ما اشار في كتابه" مبادئ التربية الاسلامية" حيث اعتبر ان التطور الذي يجب ان تواكبه مبادئ التربية الاسلامية لكي تنجح الاشكال المادية في حياة الانسان من وسائل النقل والسكن والتدفئة والطب والكيمياء والاخذ بتنظيم المجتمع المدني ضمن سلوكيات الاخذ بمشروعات اقامة تنظيمات اجتماعية ومهنية كنقابة العمال او تجمع الطلاب او مصارف مالية او غيرها فهو يدعو بذلك الى تدعيم وتشجيع

المجتمع المدني الذي اشاد به حتى على مستوى تاريخ العراق القديم كما مر بنا واعتبر سليم ان المجتمع العراقي مدني بالطبع ولكن اعتباره هذا فيه نوع من المغالاة فالمجتمع العراقي اقرب الى العشائرية منه الى التمدن واعتقد ان وجهة نظر سليم هذه خاطئة تماماً.

الانقلابية: وهي بمعنى الانقلاب على الواقع المعاش وتغييره نحو الاحسن وقد احس المصلحون كما يقول سليم بما تعانيه الانسانية فعملوا جهدهم قديما وحديثا على اصلاح اوضاعهم ليستريحوا ويريحوا قومهم من الشرور التي تنتابهم بيد ان محاولاتهم لم تخرج عن اطار المسكنات المؤقتة للادوار الاجتماعية فسليم يبحث عن الحلول الجذرية.

ولقد كانت اخر اطروحة توصل اليها دعاة الاصلاح الاوربيون بهذا الشأن هو اصلاح المؤسسات الاجتماعية قاطبة في جهاز الدولة ومجالس النواب ولوائح القانون وغيرها ولكن يعتبر سليم ان الحركة الاوربية في الاصلاح على الرغم من نجاح تجربتها الا انها ما زالت تعاني وفيها سلبيات كثيرة.

لانها اهتمت باصلاح المؤسسات ولم تصلح الانسان وسليم يعتبر ان المؤسسات من صنع الانسان فاذا صنعها انسان فاسد اصبحت مؤسسات فاسدة واذا صنعها انسان صالح اصبحت صالحة فبالنتجية فان اس الاصلاح لدى سليم واساسه هو اصلاح الانسان اولا وتربيته ثم اصلاح المؤسسات المبني وجودها اساسا على وجود الانسان، ومن هنا فلأجل الحصول على ضمانة حقيقية للاصلاح الاجتماعي المخلص العميق لابد من اصلاح الإنسان ذاته روحاً وفكراً وسلوكاً واهدافاً.

ومن ثم ياتي دور الاصلاح للمؤسسات التي يمارس نشاطاته الاجتماعية والسياسية ونحوها من خلالها ليكون مجديا وواقعيا وايجابيا.

ويعتبر سليم ان التربية ضمن الخطة الانقلابية يجب ان تكون ذات طابع مرن يسير حسب ما تمليه ظروف المرحلة التي يحياها الإنسان، فمن فتح المدارس وغيرها والتربية تتبنى الراي الانقلابي القائل بوجوب تغيير الإنسان ذاته.

اليقيني:

أي ان يتيقن الإنسان بالرسالة التي يحملها ويضيف لها عامل التقديس وان ما دونها الباطل ويضرب مثال ان كل المذاهب التاريخية وجدت فيها عامل التقديس ومنها الماركسية التي نادت بالمادية التاريخية كحتمية يخضع لها سير الحضارة والتاريخ البشري لتستقر في نفوس أتباعها ولكننا نختلف مع سليم عندما نعتبر ان ما لدينا هو المقدس وما دونه باطل وغير صحيح فبالنتيجة نقع في إلغاء الآخر من حيث لا نشعر وعلى الرغم من تأكيدات سليم الكبيرة على عدم إلغاء الآخر سلوكا وقولا الا انه وقع فيه في هذه الرؤية وبالتالي هي مرفوضة وخاطئة تماما فالرسالة الإسلامية خاضعة للنقاش حالها حال أي رسالة اخرى وممكن ان يقسم الناس تجاهها مع او ضد. وبالتالي وقع سليم بالتناقض الكبير في هذه القضية.

كما يعتقد سليم باليات التدرج في تربية الأولاد والأبناء وتربية السلوك الجمعي للمجتمع ،ويعتقد برؤية المحاسبة القانونية الضرورية في تلك الآليات ايضا لان هذه المحاسبة ستضع كل انسان بحده الحقيقي ويركز على جوانب العدل والإحسان والرحمة والشفقة بالأطفال والتلاميذ عند تربيتهم ومعاملتهم بالحسنى من اهم النقاط في هذا المجال.

وهنا يضع سليم رؤى تربوية عديدة لخلق جيل قادر على البناء وفق اسس ومنطق الاصلاح الحقيقي فالمفكر المصلح مثل سليم يهتم كثيرا بالجوانب التربوية وضمن فلسفة بناء المجتمع ويقسم المدارس التربوية في العالم الاسلامي الى قسمين هما:

ــ المدرسة التديينية التي يبرز عليها طابع الاهتمام بالتدين فحسب ويعد سيد قطب احد أوجهها.

ــ المدرسة التخطيطية والسياسية: ويبرز على هذه المدرسة السمة الفكرية السياسية وتهتم هذه المدرسة عادة بالتخطيط للنهضة والفكر السياسي مع اهمال واضح لمسائل بناء الناحية الروحية لدى الإنسان ،ويعد مالك بن نبي علم في هذه المدرسة.

ونحن نختلف مع سليم كليا في كون ان المدارس التربوية تقسم الى هذين القسمين فالمدارس التربوية تقسم الى اقسام اخرى فهنالك المدرسة الماركسية في التربية والمدرسة الوجودية في التربية ، وهنالك المدرسة الطبيعية الرومانتيكية والمدرسة التجديدية والتربية البراكماتية والفلسفة الانسانية العقلية والفلسفة الواقعية الطبيعية والفلسفة المثالية ومنهجها التربوي فكان من الاجدر على سليم ان يتناول هذه المدارس في التربية ولكن هو علق على هذه المسألة قائلا " ونحن لانريد ان نستعجل الحكم على هذا التقسيم كما لا نريد ان ننفيه بالمرة ولكننا نريد ان نسجل عدة ملاحظات بهذا الخصوص علها تساهم في كشف الواقع " بالنتيجة فهذا الحديث يبرهن على انه ما كان واقعا قابلا بهذا التقسيم ولكنه كان يريد ان يحشر اغلب التقسيمات التي اوردناها ضمن المدرسة التخطيطية والسياسية بعيدا عن التقسيمات والاسهاب فيها.

ويسجل سليم ملاحظات حول هذه المدارس ومنها مدرسة سيد قطب حيث يعتبر انها كمدرسة لم تهتم بارساء قواعد مدرسة تديينية خاصة حسبما اشيع وانما اهتم بدراسات تديينية واخرى خاصة بفن الدعوة وكيفية اقامة مجتمع اسلامي ودولة اسلامية وهذا مما يرفضه سليم حسب نظرته لحكومة الانسان ويعتبر ان هذه هي قناعات فقهية لديه ويعتبر كذلك ان قطب لم يكن مهتما فقط بالمد الديني ولكنه كان يهتم كذلك بالمسائل السياسية الكبرى والتفصيلية.

كما ان سليم يعتبر ان سيد قطب رغم ما طرح من دراسات وبحوث غاية في الاهمية الا انه لم يوفق لوضع منهج تربوي لبناء الروح والعقل والسلوك الانساني معا وبناء على ذلك يعتبر سليم ان سيد قطب لم يستطع بناء مدرسة متميزة في معالمها واهدافها وهذه نقطة مهمة يتضح من خلالها ان سليم يعارض مدرسة قطب في كونها اصولية وسيئة في بعض معالمها وكما مر بنا في مناقشتنا لمدرسة قطب.

وكذلك يناقش سليم مدرسة مالك بن نبي احد رواد المدرسة التخطيطية الاسلامية ويعتبر ان ابن نبي ضمن هذا الوصف لا دليل على صحته ولكنه أي بن نبي قد اجهد نفسه في بلورة خلفيات انتكاسة المسلمين ونكوصهم من صنع النهضة

وحدد شروط النهضة واشار الى مخاطر الاستعمار وحذر من اساليبه الا انه قد اهتم بالشكل دون المضمون فقد رسم قوالب وتركها فارغة الا في زوايا محدودة فهو لم يشر الى كيفية بناء المجتمع ولا بناء الفرد ولا كيفية بناء الدولة وعلاقتها وكان في دراساته اشبه ما يكون بباحث اجتماعي سياسي يحذر من مكامن الخطر او يشير الى شكل الخلاص لا الى مضمونه، أي ان سليم يعتبر مالك بن نبي مفكرا ناجحا قادرا على تشخيص الداء والدواء ولكنه ليس مصلحا يعمل في الاصلاح لغرض النهوض بالامة كجمال الدين الافغاني وعبدة مثلاً.

ان سليم كان يؤمن بتطبيق وخلق الدولة الاسلامية بالرجوع الى الاسلام الصحيح وتربية المجتمع تربية هادفة انسانية ولكنه فيما بعد تنازل عن مضمون الدولة الاسلامية وطالب بمشروع الدولة الانسانية بعدما وجد ان تطبيق المنهجية الاسلامية سيفشل من خلالها الاسلام في حكم المجتمع كما اشرنا وكما سنشير فيما بعد.

كما كان يركز على مفهوم تربوي غاية في الدقة والتامل الا وهو بناء الانسان من الداخل ضمن منهاج تربوي شامل حاضرا ومستقبلا، كما يؤكد على حاجة المسلمين الى مدرسة تربوية شاملة تبني روح الانسان وفكره وعواطفه وتلبي كل حاجاته في هذه الحياة تشعره انما يسمى بالمدرسة التديينيه والاخرى السياسية قد وقعت باخطاء بسبب انها انطلقت أي كلا المدرستين كردود فعل تجاه ما يوصف به الاسلام وهذا شيء غير صحيح بنظر سليم يتطلب ان يقف المسلمين لتوحيد جهودهم وصفوفهم لاقامة دولة انسانية قادرة على بناءهم من الداخل هذا بخصوص نظرته العامة المختلفة عن نظرته الخاصة باتجاه اقامة دولة الانسان بالعراق ، وبالتالي سليم يعطي نماذج من الرؤى التربوية الواردة في التراث الاسلامي والتي ينبغي استخراج نصوصها التربوية القادرة على البناء.بتعد عن ذكر النماذج تحاشيا للاسهاب والتفصيل التاريخي الممل للقارئ.

ثالثاً: كيف يحل سليم مشاكل الشباب ضمن رؤيته التربوية الناهضة

حيث يناقش سليم في الشباب التغيرات البيولوجية والفسلجية التي ترافق نموهم ويحذر من ضرورة الانتباه الى هذه التغيرات وتاثيراتها الواضحة في الشباب ويعطي اهمية كبيرة وضرورية لضرورة الاهتمام بالبناء الروحي والفكري للشباب.

وان من الاسباب الرئيسية التي ادت الى انهيار كثير من المجتمعات والحضارات في التاريخ البشري انما كان بسبب الانهيارات التي اصابت الشباب في تلك المجتمعات.

وقد بدأت كنظرة تاريخية لسليم بواكير الانهيار في المجتمع المسلم في العصر العباسي حين بذلت التيارات وسعها لاستقطاب الشباب في اللهو ويمازج سليم بين النظرة التاريخية الاسلامية والنظرة التاريخية الغربية بحديثه عن تنبه خروشوف زعيم الاتحاد السوفييتي الراحل في اواخر الخمسينيات وبداية الستينيات الى مخاطر الانهيار في بلاده فشكا من ان تحلل الشباب في ذلك البلد سيشكل كارثة لها . وهذا يبين انفتاح سليم بتعامله مع تاريخ الاخر بقدر الاستفادة منه.

وكذلك يذكر سليم انه وفي الستينيات شكا كينيدي رئيس الولايات المتحدة الامريكية من نفس الظاهرة التي سترى الانسانية نتائجها كما يعبر سليم.

ويعطي سليم اهمية قصوى لبرامج التنمية البشرية ضمن برامج التربية فان الاهتمام بالشباب ورعايتهم وتبني معالجة مشاكلهم لا بد ان يحتل الاولوية في كل برامج التنمية التي تتبناها الامم في مسيرتها نحو التطوير

فبداية يضع سليم اسباب مشاكل الشباب ومنشؤها:

ــ مشكلات تتسبب من النمو الطبيعي للشباب (مشاكل فسولوجية) ينظر لها سليم بعقلية العالم الفسيولوجي.

ـــ مشكلات بسبب البيئة الاجتماعية.

ويتكلم عن النوع الاول من المشاكل بصور سايكولوجية أي التاثيرات السايكولوجية التي تتسبب منها مشاكل الشاباب بسبب البعد الفسيولوجي ومنها ما يذكر سليم:

" تقع للشباب مشكلة في طوله او وزنه مثلا، كأن يكون طويلا مفرط الطول او يكون قصيرا بشكل غير طبيعي او يكون نحيفا او يتاخر نموه بضع سنوات او يتعرض للتشويه في بعض بدنه فهذه الظواهر الطبيعية تشكل مشاكل واقعية للشباب تتبعها متاعب نفسية وهم في مقتبل اعمارهم"[1] بالنتيجة فسليم ينظر الى الرؤى المعرفية والرؤى الفسيولوجية الخاصة ببناء الشباب وبالتالي وضعهم في المكان الناسب ووضع المعالجات لهم.

فقليل من المفكرين يفكر بالوضع الجسمي للشباب وتاثيراته النفسية الا المتخصصين في هذه الامور اي المتخصصين في التربية والامور السايكولوجية.

اما سليم باعتباره مفكر مجتمعي فقد نحى منحى المتخصصين في الاشارة الى دقائق الامور ومتعلقاتها.

كما يعتبر سليم ان المسؤولية في الحل هي مسؤولية جماعية فاذا كان المجتمع عاجزا عن وضع العلاج الجذري لتلك المشاكل الطبيعية فهو مطالب اساسا ان يجعلها مقبولة وطبيعية يتعامل معها بالقبول لكي لا يعقد المشاكل ويزيدها تفاقما فلأن هذه المشاكل وامثالها تشكل تحديا للنمو السليم لجسم الشباب تشوه مظهره الخارجي مما يترتب على ذلك القلق والاضطراب وفقدان الثقة والشعور بالنقص.

فالمجتمع حسب سليم مسؤول عن ادراك واجبه تجاه الشباب المبتلى اذ ان المجتمع اذا كان عاجزا عن اضفاء حالة النضج المناسب على الشاب المبتلى بحالة

---

[1]– سليم ، رؤيته حول الشباب ورد لديه في مقال غير منشور .

نقص ما في تكوينه الجسمي فانه لا بد من مساعدته على تقبل وضعها الجسمي على ما هو عليه وذلك بالتعامل معه كما لو كان سويا في نموه الجسماني.

ويدعو سليم ومن منطلقات اسلامية اصلاحية، الى دعوة الشباب المبتلين بهكذا امراض الى تقبل اوضاعهم الفعلية على ما هي عليه فلا داعي للقلق من هذه الحالات ابدا ويسلك في ذلك طريقة الترويض على مواجهة تلك التحديات بشجاعة ورضى لا تنغصه مرارة وهنا يشدد سليم وبانطلاقاته من النص القراني على ضرورة مراعاة نفسية هؤلاء الشباب لتفادي ايقاع الاذى النفسي فيهم وبالتالي سيقود الاذى النفسي الى عدم قدرة هؤلاء الشباب على المواجهة والاستمرار ،ومن هنا فيجب عدم التعرض بنقد مباشر او غيابي للمصابين بتلك العاهات حفظا لكرامة الانسان ويعطي مجموعة من المهام الواجب اتباعها باي مجتمع للنهوض بالشباب:

ــ العناية بصحة الشباب وقاية وعناية.

ــ الاهتمام بسد فراغهم بما يخدم طموحاتهم في الحياة .

ــ توفير الفرص المناسبة لقدراتهم وميولهم.

ــ الحرص على رعايتهم روحيا وفكريا وضبط سلوكهم .

كما يناقش سليم المشكلات التي تسببها البيئة الاجتماعية للشباب ومن ابرز المشكلات التي يشخصها سليم:

ــ الصراع بين الشاب ووالديه.

ــ الصراع بين الشباب وبيئتهم الاجتماعية في المدرسة والمصنع والدائرة وغيرها.

ويشخص الاولوية للمشاكل التي تقع على الشاب تلك الصادرة من البيت والعائلة اتي ينتمي لها الشاب بالنظر لاهمية العائلة في التكوين النفسي والاجتماعي للشباب ثم المجتمع بمؤسساته المختلفة .

ويقسم سليم الأباء الى مجموعات من حيث المزاج والتعامل في اطار الاسرة:

ـــ الأب المتزمت العنيف في معاملة اولاده.

ـــ الأب المهمل الذي لا يعنيه ما يمر به الابناء من حالات ايجابية وسلبية.

الاب المتسامح كثيرا الباهت الشخصية.

الأب المدرك لمهامه في البيت النمفتح على ابنائه المستوعب لدوره في كيفية معاملتهم.

وبعد ان يقسم سليم التقسيمات الاساسية لانواع الاباء والتي يتبين من خلالها مقدرته واطلاعه الواسعين على تعيين النوع الاساس في حكم الاسرة وقيادتها القيادة الصحيحة المتمثل بالنوع الخامس من الاباء دون الاشارة اليه من قبل سليم حيث عمد سليم في كثير من الاحيان كما في هذه الحالة الى شرح الحالة بتفصيلاتها ثم ترك القارئ الى تحديد ما يشاءه من اختيار بعد ان بين سليم ضمنا اليات هذا الاختيار وهذه ارادة سليم في اعمال العقل.

وبعد ان يفصل سليم هذه الرؤية للاباء ياتي ويضعها ضمن معادله عقلية تربوية صحيحة مقادها اذا كان الاباء هذا هو ديدنهم في التقسيم وهذه انواعهم فاذن الابناء يقسمون تحت تاثير تقسيم الاباء فيعتبر سليم انه وكما يتباين الاباء في امزجتهم وبرامج حياتهم في علاقاتهم بالاسرة كذلك يكون الابناء مختلفين في السلوك والامزجة والتركيبة النفسية فبسبب عوامل التاثر بالبيئة الاجتماعية التي يعيشونها، اضافة الى العوامل الطبيعية الوراثية ينقسم الشباب الى مجموعات:

ـــ مجموعة يكون الشاب فيها منطويا كئيبا يؤثر العزلة ويعاف الاختلاط كما يكون خجولا ضعيفا في جرأته الادبية وقد يكون مغرورا وهذه الحالات تصيب الشباب الذي يرعاه بيت يقوده أب متزمت عنيف في ادارة عائلته.

ـــ مجموعة يكون الشاب فيها منفتحا متفاعلا متزنا من الناحية المزاجية يتفاعل مع من حوله بايجابية ،وهذا الشاب ينشأ عادة في جو عائلي يقوده اب واع متزن رزين متسامح بدرجة مناسبة.

ـــ مجموعة يكون الشاب فيها متمردا، ذا مزاج عدواني يعامل اقرانه واسرته بعنف وهذا النوع من الشباب انما ينشؤون في اجواء عائلية يقودها والد متزمت قاس في الاعم الاغلب.

ـــ مجموعة ينشأ فيها الشاب منحرفا اخلاقيا ،وهذه الحالة تاتي في الغالب من التربية التي يسودها التدليل الزائد عن حد الاعتدال والتسامح والاهتمام (وهذه الرؤية لسليم تشابه ما ذهب اليه المفكر نوري جعفر ان على الاسرة ان تنظر الى اطفالها بثلثين من الفطنة وثلث من التغافل وقد ناقشنا هذا الموضوع في كتابنا نوري جعفر رجل النهضة والاصلاح.

كما ان سليم يدعو دعوة صريحة دون ان تحدث تقسيم عائلي يذكر بانه يجب احترام رؤية الشاب من ناحية رغبته وميله الى الاستقلال في قراره والاعتماد على نفسه، في ادارة اموره وتصريف شؤونه الخاصة واهتمام سليم واضح جدا بالشباب حتى انه يذكر الصراع بينهم وبين سلطة البيت ، من اجل استقلاليتهم لذلك فان سليم وضمن ما ورد يعتبر رائد تنويري اصلاحي تربوي في شان تربية الشباب ،ومن هذه الناحية ينبغي ان نرى جليا ، ان هذه الرؤية حول الشباب تعتبر رائدة الى حد ما ، في مجال تشخيص الخطأ الاسري اين يكمن ومن ناحية تشخيص الاب وانتاجه اي ان الاب المتزمت على سبيل المثال ينتج الشاب المتمرد وهذه معادلات وضعها سليم يمكن صياغتها بالشكل التالي:

الاب المتزمت + العنيف ــــــــــ يقود الى ــــــــــ الشاب المنطوي+ الكئيب+ الخجول+ الضعيف + المغرور في بعض الاحيان .

الاب الواعي+ المتزن+ الرزين+ المتسامح ــــــ يقود الى ـــــــ الشاب المنفتح+المتفاعل+ المتزن.

الاب المتزمت +القاس ــــــــــــــ يقود الى ــــــــــــ الشاب المتمرد+العدواني+العنيف.

الاب المدلل لابناءه بشكل غير اعتيادي ــــــــــ يقود الى ــــــــــــ شاب منحرف اخلاقي .

هذه المعادلات اعتبرها معادلات التربية الاساسية في الاسرة لسليم.

وهي معادلات تدلل الباع الكبير للمفكر سليم في النهج التربوي.

الفصل الحادي عشر

حكومة الانسان

أولاً: انقلاب المفكر سليم على الحكومة الاسلامية وتبنيه لمنهجية الحكومة الانسانية ودلالات هذا الانقلاب

لقد عاش سليم جل حياته يفكر بحكومة اسلامية تمثل فيها القيم الحقيقية كالعدل والنزاهة واحترام الاخر ومراعاة المختلف مشاريعا اساسية تنهض بالواقع من منطلق اسلامي ويحلم وعبر اليوتوبيا المفقودة لدى المسلمين بتكوين هكذا دولة اسلامية يسودها العدل والحرية والاحترام وقائمة على اساس اسلامي يراعي الدين حيث يحدد سليم، مصطلح الحكومة الاسلامية ويعتبره مصطلح مضبب بسبب سياسات الدكتاتورية في العالم الاسلامي واستغفال المسلمين باسم هكذا حكومات. ولكنه يخرج بتعريف لهكذا حكومة مفاده:

"هي الحكومة التي ترتكز على اساس الاسلام كشريعة ومنهج حياة بالشكل الذي يكون فيه الاسلام، المحدد دون منازع لكل نشاطاتها ومقولاتها وعناصرها الفكرية وتوجهاتها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية"[1] بل انه يتطرف في تعريفها ويعتبر ان الذي يحكم باسم الاسلام هو حكم الله ومن لم يحكم فهو بحكم الجاهلية ، ومن مصاديق الحكم الاسلامي: الضمان الاجتماعي للافراد والتشريع الجنائي وجمع الضرائب المالية وقد وعى الرعيل الاول كما يعتبر سليم ذلك فكانت لهم دولة ترعى شؤونهم وتقود جيوشهم وتعين قضاتهم وتنشر العدل على الرغم من ان اغلب هذه الامور كانت تحدث بشكل سلبي وليس كما يقول سليم بشكل ايجابي ويضيف سليم: انه لم يحدثنا تاريخ الاسلاف عن اختلاف بين المسلمين عن ذلك وانما العكس هو الذي حدث فقد كانت السياسة والحكم هي المسألة الحساسة ، التي

1– عز الدين سليم، الاسلام ورسالته الخالدة، ط3، طهران، 1997، ص49

اثارت نزاعات مختلفة بين المسلمين على مر العصور الاسلامية، وهذا الكلام صحيح نوعا ما.

ويتكلم سليم عن ان الاسلام وضع الحلول المختصة في تحقيق الرفاه للناس كسياسته المالية وتوزيع الثروة والحكم والقضاء والحرب والسلم والشريعة حسب سليم تبنت شكلين للحكم:

الشكل الذي يكون فيه النص الدستوري هو العامل الاساس في تعيين قادة الامة الذين يتولون رعاية شؤونها الحياتية وفقا لمعالم الاسلام الاساسية بصورة مباشرة. وانما استحق هؤلاء القائمون بوظيفة رعاية شؤون الامة حمل هذه السمة لكونهم قد اشرقت الرسالة في ذواتهم وهو يقصد بذلك ائمة الشيعة وبالتحديد "المعصومون " حسب النظرية الشيعية لهؤلاء القادة الاسلاميون.

وثاني الاقتراحات لتشكيل الحكومة بزمن عدم وجود الأئمة فالقيادة تؤول الى مفكري الأمة وعلمائها من اهل الكفاءة القيادية مسالة ذات صيغة جماعية واجماعية من قبل الأمة أي يؤول الحكم الى الامة وبالتالي فسليم من أنصار ثورة المشروطة التي نادى بها العلامة محمد حسين النائيني وحين يكون مفكروا الأمة وفقهاء رسالتها واهل الخبرة من أبنائها هم الذين يضطلعون بالمهام الإدارية لشؤون الامة في الوقت الحاضر فلا بد ان يبحثوا عن أفضل الطرق واضمنها واكثرها موائمة لروح الشريعة الاسلامية لتسيير دفة الحكم والادارة بالشكل الذي يحقق اعلى مستويات الرفاه الاقتصادي والاستقرار الروحي والنفسي لإنسان الرسالة الإسلامية، وروح القيادة الجماعية (أي ان الأمة تقود نفسها بواسطة علمائها) هي انسب اطروحة ينبغي ان تسري في شكل الحكم الإسلامي في مرحلة غيبة الائمة اما اذا كان هنالك شخصا كفوؤا متصديا فالقيادة تنحصر به. وهذه الروح الجماعية التي يفرضها سليم يقرها أمران:

ان الرسالة الإسلامية تفرض روح التشاور كحد ادنى لتجسيد مفهوم التعاون بين اتباع الرسالة الإسلامية وحين يرفع الاسلام مثل هذا الشعار (شعار التشاور

بين المسلمين) فانما يهدف الى الحيلولة دون سريان عنصر الذاتية وطغيان الروح الدكتاتورية في المجتمع الاسلامي ويهدف كذلك الى قطع دابر التكتلات الجانبية والخروج عن طابع التجمع. والتشاور يضمن عدم طغيان العامل الذاتي او المصلحة الشخصية من قبل شخص الحاكم بفعل الغرائز والعواطف مما يعطي الفرصة لظهور خلافات جانبية كالاستحواذ على السلطة وعزل بعض المخلصين عن مهامهم الادارية.

ان الرسالة تعلن في كثير من مفاهيمها ونصوصها حسب سليم من ان علماء الشريعة وفقهائها مخولون بصورة مبدئية برعاية شؤون الامة وعليهم ان ياخذوا بالاجتهاد بصفته الاسلوب الاوحد لوعي الاطروحة الاسلامية واستيعابها وحض على ارتياده كمدرسة دائمة تواكب الاجيال الاسلامية، ومن ثم يضع سليم رايا خالفه هو فيما بعد من ان يكون مجتهدوا الامة العدول المختارون مكلفين بالاشراف القيادي على الصعيد الاجتماعي والسياسي في الامة.

ولكي يقود الفقيه الأمة لا بد من دعم الرأي العام الإسلامي في إقليم التجربة أي ان تنتخبه الامة نفسها ولايفرض عليها فرضا .

اما العناصر الأساسية التي يجب ان تتوفر في اسلوب الحكم الاسلامي فهي كالتالي:

الاجتهاد: وهو العملية التي على ضوئها تستجيب الرسالة الاسلامية لكل تطلعات الجماهير عبر الزمن وفقا للظروف المستجدة في حياتها وهو بهذا الفهم ضمانة قانونية لمنح الاسلام خصوبة واغتناء تشريعيا مستمرا يجعله اكثر قدرة على مسابقة الزمن واستيعاب متطلباته وما يستجد فيه من ظروف وملابسات يفرضها التطور الهائل في طراز المعيشة وكنتيجة طبيعية للنمو المطرد في التقدم العلمي والتكنولوجي والفكري وبالتالي فالاسلام لا يستطيع على وضعه الذي جاء به ان يساير التطور فلذلك تاكيد على سليم على وجود الاجتهاد لجعل الإسلام مسايرا

لمسيرة التطور الإنسانية الهائلة وفلابد من ان توفر الامة مزيدا من المجتهدين يرفدوها بمتطلباتها الروحية والفكرية والمادية عبر الزمن طبقا لما تعكسه رؤاها.

وهنا لا بد من الالتفات الى مسالة غاية في الاهمية الا وهي مسألة ان المجتهدين لا بد ان يقع بينهم الاختلاف ولابد ان يحترم هذا الاختلاف ولايكون مدعاة للتناحر حول مسالة معينة. ولئن كان التبني لاراء مختلفة في مسالة واحدة أمرا يتعذر اصلا فانه يتعين على الجهاز التنفيذي ان يتبنى احد الآراء الجاهزة .

العدالة: والعدالة يجب ان تتوافر في الحاكم الإسلامي فإذا لم يك الحاكم عادلا في سلوكه الشخصي ومجتهدا فلا يصح ان يكون قائدا في الحكومة الإسلامية.

الخبرة: والمقصود بها الكفاءة وهي قدرة القائمين بشؤون الحكم على ممارسة اعمالهم القيادية وفقا لمعرفة بطبيعتها وأبعادها ابتداء من القيادة المشرفة فردا او جماعة فالمسئول عن الدفاع يجب ان يكون ذي خبرة في الموضوع وكذلك المسؤول عن الزراعة وهكذا.وبالتالي فان ولاية المجتهد على الامة نسفها سليم كذلك يتحدث سليم عن الاقتصاد الاسلامي في مرتكزاته الأساسية ويحدد ثلاثة مرتكزات للدولة الإسلامية في اقتصادها:

الصيغة النظرية للتملك:

الثروة في إطارها العملي: وهو محاربة أي كسب خارج الاطار الانساني كالربا والاحتكار والغش والرشوة والسرقة والتلاعب بالموازين وغيرها .وهذه هي طريقة وقائية الا ان هذه الطريقة كما يقول سليم لمنع النمو الفاحش للملكية الخاصة ليس بمقدورها ان تسد كل التغيرات لهذا النمو في الثروة لان الطرق الطبيعية هي في إنماء الثروة ليس عن طريق القمار وما شابهه.

مبدأ الضمان الاجتماعي يجب ان يكون متوافرا في الدولة الإسلامية والضمان الاجتماعي كما يحدده سليم مظهر من العدالة الاجتماعية وهو من قسمين:

اسلوب التكافل الاجتماعي العام وهو باب الاخوة المطلقة بين كافة قطاعاتها :فالناس في ظلال الاسلام كما يريد سليم يعيشون في اطار اخوة لا نظير لها في

تاريخ الامم والشعوب، فلا طبقة ارستقراطية تتحكم بمصير الامة ،ولا طبقة كهنوتية تلعب بمقدرات الشعب، ولا أصحاب جاه وسلطان يتسنمون مركز الثقل هذا المبدأ الذي يقضي بكفالة أفراد المجتمع بعضهم للبعض الاخر كفالة اقتصادية لسد عوزهم المالي والاستجابة لمطالبهم من الوالدان والزوجة والأولاد وهنا يقارن سليم بين مبدأ التكافل الاجتماعي الذي اقره الاسلام ومبدأ من لا يعمل لا يأكل الذي يعلنه المذهب الماركسي فيعتبر ان مبدأ التكافل الاجتماعي متقدم جدا لانه يضرب فلسفة التركيز على الفرد.

مبدأ كفالة الدولة فالدولة يجب ان تضمن فرص عمل للجميع وان تلتزم باعطاء الاموال لغير القادرين عن العمل.ويقرر سليم ان الدولة الاسلامية ضمن توزيعها للاموال غير مقصورة على جماعة دون اخرى فهي ليست من حق المسلم دون سواه وليست وقفا على الابيض دون الاسود وانما هي عدالة تتخطى الحدود القومية واللغوية والدينية والاقليمية ، كما يجب ان تتحمل الدولة تشريعات عقابية وضمن جوانب لردع الافراد المسيئين للاخلاق العامة والمتجاوزين على حريات الناس ضمن مبدأ المحاسبة الذاتية وان يحاسب الفرد من قبل المجتمع برفض فعله والمحاسبة القانونية وحتى العقوبات يجب ان تدرس دراسة كاملة قبل تطبيقها وهنا يحضر سليم الجانب الإنساني فلو ان امرا سرق مالا واحضر الى قاعة المحكمة في ظل التشريع الاسلامي فان عامل السرقة وحده غير كاف لمعاقبته بقطع اليد مثلا ، وانما تدرس الظروف التي دفعته الى ارتكاب عمله فربما كان صبيا او غير مكفول المؤونة من قبل الدولة بحيث اضطرته حالته المعاشية المتردية الى السرقة فان كانت فعلته ذات دوافع كهذه فان عقوبة قطع اليد غير واردة في هذه الحالات.

وهنالك ثمة محاور لتنظيم الحياة الاقتصادية في الحكومة الاسلامية ومنها:

ـ الملكية العامة من الاراضي والمعادن.

ـ ملكية الدولة كالغابات مثلاً.

وكيف ان الافراط في التملك لا يجوز تماما كما فعلت الراسمالية ولا يجوز التاميم الكامل كما فعلت الاشتراكية.

كما يتكلم عن عقوبات التعزير وهنا فنحن نعتبر انها في اغلبها كعقوبات لا تناسب الحدث الذي وقعت فيه فهي منافية في الغالب لحقوق الانسان. ولا يمكن تطبيقها في الوقت الحاضر بتاتا كعقوبة الزنا مثلا عقابها الجلد ولكن في الوقت الحاضر تعتبر هذه القضية ضمن حقوق الانسان ولا يمكن تطبيق هذا الحد مثلا.وكذلك مبادئ لا حصر لها تتعارض اليوم وحقوق الانسان ومنها مبدأ الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي يعتبر اليوم من اكبر المبادئ الضاربة لحقوق الانسان وحريات الاخرين فالدولة هي المسؤولة عن معاقبة أي شخص قد يسيء الادب او يعتدي على حريات الاخرين وليس الاخرين هم المسؤولون عن ذلك كما يقرر سليم في بعض تبويباته.

وسليم يعتمد في هذه الاحكام وتسليط المجتهد على المجتمع لتنفيذه هذه الاحكام من رؤية محمد باقر الصدر كما اشار سليم الى ذلك ص 115 من كتابه الاسلام ورسالته الخالدة . يذكر ان رؤيته حول هذا الموضوع نسفها تماما عندما عاد واعترف بالواقع الديمقراطي بحكم البلاد واحياء حكومة الانسان وليس الاسلام.

ثانياً: الانقلاب على الحكومة الاسلامية وتاسيس حكومة الانسان

وبعد ان كان سليم مقتنعا في هذه الرؤية قبل التغيير في العراق بسنيين ولكنه جاء بعد التغيير وقبله بقليل من الزمن بدحض نظرته لتاسيس حكومة اسلامية وتبني "حكومة الانسان " وبالتالي فسليم اعتقد جازما ان الاسلام كدين سيفشل تماما في قيادة الامة وفي ذلك يقول مبررا دعوته لحكومة علمانية : " اننا وضعنا ضمن استراتيجيتنا هذه الا نفرض الاسلام على العباد وانما لابد ان نقنع الامة به ،وانا اجد ان الظروف المحيطة بالمشروع الاسلامي في الوقت الحاضر معقدة جدا ، فالوضع الداخلي معقد من الناحية الثقافية فهناك القومية والطائفية والجهل بالاسلام وضعف التنظيم الاسلامي – سنتحدث عن هذا الضعف ضمن هذا الفصل– وغير ذلك اضافة الى التدخلات الاقليمية في العراق ولذا فان الهدف الاسلامي ،اي :هدف تطبيق الاسلام في هذه المرحلة بعد سقوط النظام مباشرة يحتاج الى تامل شديد فهل بمقدور الاسلاميين في هذا الوضع المعقد ان يروا من المصلحة ان يقحموا الاسلام في هذا الوضع المزري جدا في بلد جائع مدمر مستعمر مدين للعالم فيحملوه كل التبعات القائمة في وضع البلد فتفشل تجربته امام هذا الزخم من المشاكل المدمرة هذا اذا افترضنا قدرتنا على احكام السيطرة على البلاد والعباد، وهذا ما لا اعتقد به شخصيا ولذا وبناء على هذه النظرة الواقعية لظروف البلد، ارى من الضروري ان يكون لنا هدف مرحلي لا نتحمل به تبعات كثيرة ولا نحمل الاسلام العزيز التبعات " وواضح من كلام سليم ان التجربة الاسلامية فاشلة في حكم العراق في ظل هذه المتغيرات لعدم قدرة الاسلام كدين وثوابت على حل المشاكل كما يقرر ذلك سليم وحلها سيكمن في حل غربي مستورد وفي ذلك يقول " اذا سقط النظام تحت اي ظرف من خلال تحرك عسكري او شعبي فلا بد ان نصر على ادارة مناطق الشيعة ضمن العراق الواحد والدولة العراقية الواحدة ثم نضع برنامجا لرفع مستوى الامة في هذه المدن ثقافيا وسياسيا واقتصاديا ونصر على احترام حقوق الشيعة السياسية والثقافية واحترام حقوق الاكراد والسنة والاقليات الدينية والقومية وهذا البرنامج في

الحقيقة نموذج للادارة الفدرالية او نظام الولايات المعمول به في الهند والباكستان وماليزيا وغيرها من البلاد" فبالتالي سليم لا يدعو فقط لحكومة علمانية انسانية بل الى حكم فدرالي وهي تجربة غربية تماما. ويطالب بالفدرالية الادارية ويعتبر ان الفدرالية سوف لن تؤدي الى تجزئة العراق كما يظن البعض كما ان سليم يعتبر التجربة الفدرالية لا تتعارض بتاتا مع نظام الحكم في الاسلام. وقد تحدثنا عن تجربته الفدرالية في التنظير فيما سبق.

وياتي سليم ليؤكد على حكومة الانسان وبشكل صريح لا لبس فيه.

ثالثاً: فشل الاسلام في حكم الامة في نظر سليم

من هذا المنطلق يتبنى سليم عدم قدرة الاسلام في حكم الامة في العراق في هذه المرحلة الصعبة بسبب عدم قدرته على تبني المناهج الكفيلة بهكذا حكم وبالتالي فهو ومن هذا الباب يتبنى منهجية الا اصول للحكم في الاسلام في كل المراحل ويناغم في الطرح علي عبد الرازق المفكر المصري الذي يعتبر الا اصول للحكم في الاسلام والذي خالفه في طرحه عز الدين وكما مر بنا في هذا الكتاب ولكن عندما جاء سليم وراى التطبيق للاسلام على ارض الواقع راى فشله في الحكم ومن هذا الباب فهو متنازل عن ارائه في قضية نظام الحكم في الاسلام ودعوته الصريحة لان يحكم البلاد حكومة الانسان وليس حكومة الاسلام . وكما سنرى في القادم من هذه السطور.

وفي ذلك ما برهنا عليه طوال بحثنا عن المفكر سليم لان مدار الكتاب من اوله الى اخره يبين انسانية هذا الرجل ولكن في مدار حديثه القادم يتبين لنا رؤيته الانسانية الصرفة المتقدمة على الاسلام نفسه يقول سليم:

"انا انسان يتبنى الاسلام على المستوى الستراتيجي ،ولكن في هذه المرحلة ،نحتاج حكومة انسانية نظام يسمح لنا بالعمل لانه بنظري انه اذا اتينا بالاسلام الان واردنا ان نطبقه فسندمره في بلد مدمر اقتصاديا ،وسياسيا واجتماعيا ، لاننا لو أتينا الان بالاسلام وحاولنا تطبيقه على هذا المجتمع ،فانه سيفشل ،اذا ما نريده الان هو حكومة تخدم

الانسان، تعطيه كرامته وحريته وبعد هذه المرحلة يمكننا اذا احسنا الطرح ان نطرح الاسلام للناس كما فعل الاخوة الاسلاميون الاتراك ،فهؤلاء الاخوة دخلوا في جو علماني راسخ ومحمي بالجيش والمؤسسات المالية، ولكن بطرح رائع ومقبول، استطاعوا ان يدخلوا في جيب النظام العلماني ويفرضوا رؤاهم عليه وهذا اعظم عمل ونجحوا لحد الان ، ان العراق يختلف عن الاخرين لا نبدأ ولا نستعجل اذا اردنا ان نخطوا خطوات صحيحة او سليمة في هذه المرحلة علينا ان نستفيد من وجود حكومة تخدم الانسان وتداوي جروحه وتعطيه حريته بعد ذلك تزرع القيم للمجتمع وحينئذ يمكن ان نطرح الاسلام طرحا كفؤا وان تشاع القيم وتبنى الحياة الكريمة للناس وتؤمن الرعاية الصحية ويزوج الشباب العزاب، وان يقنع الفتيات بالحجاب دون ان يفرض عليهن فرضا (اينك يا سليم وترى اليوم كيف ان المتطرفين يقتلون السافرات ويرمون على ملابسهن حامض الكبريتيك ويتعدونهن بالقتل والخطف وغيرها من القيم السيئة في الانسانية) ثم نسعى لتوفير الخبز للناس والتعليم الجديد والمناهج والثقافة المناسبة غير المتشنجة وغير المتطرفة هكذا تزرع القيم والفضيلة فاذا نجح الاسلام في هذه المرحلة بطرح كل هذه الاشياء بنضج وهدوء فانا اعتقد بان الناس ستختار الاسلام بارادتهم لكي يقيموه اما اذا فرض الاسلام على الناس بالقوة ونصبنا انفسنا اولياء على الناس بالقسر فاننا سنخسرهم"[1]، ان الرؤى الحضارية المستنتجة من هذا الكلام انما تقوم على الاتي:

- تاكيد سليم على الانسان كقيمة عليا تقف عندها كل القيم.
- تاكيده على ان الاسلام لا ينفع بتاتا في حكم البلاد في المرحلة الحالية لتعارضات الاسلام كثيرا مع الواقع الديمقراطي ولان السياسة متغيرات والسلام ثوابت والثابت يختلف عن المتغير.
- اعتقاد سليم ان حكومة الانسان اشمل واقرب واكبر من حكومة الاسلام.
- تطبيق الاسلام في جو بلد مدمر اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا، سيدمر الاسلام نفسه لعدم قدرة الاسلام على المواصلة العلاجية لوضع الحلول في

1- عز الدين سليم، جريدة الشراع، ملحق خاص بمناسبة استشهاد عز الدين سليم،بغداد، 2004، ص3

هكذا تجاذبات .فالاسلام سيفشل حتما في ايجاد حل لازمات البلاد وهذا الكلام الخطير على المستوى الفكري لا يرضاه من يتخذ من الاسلام شعارات جوفاء بحجة تطبيقها والسرقة تحت مسماها الاكبر ،فسليم يقطع على الاسلاميين الطريق لكي لا يسرقوا باسم الاله وان يبتعدوا عن اشراك الاسلام في الحكم لان الاسلام سيفشل حتما في ايجاد المرتكزات الحقيقية التي عند تطبيقها ستنقذ البلد.

- الارادة التي يرتكز عليها سليم هي حكومة الانسان التي تعطيه كرامته وحريته.

بعد هذه المرحلة اي مرحلة ايحاد حكومة الانسان المشروطة بالكرامة والحرية ياتي سليم لايجاد المرحلة القادمة بعدها وهي طرح الاسلام للناس ولكن يضمنه شرطين أساسيين:

أولاً: ان يحسن الاسلاميون الطرح ويقوموا بطرح الاسلام بصورته المبنية على احترام الاخر.

ثانياً: ان لا يفرض الاسلام بالقوة لان فرضه بالقوة يساوي الكفر وهذا ما تكلمنا عنه فيما مضى من الكتاب.

وهنا يركز سليم كثيرا على تجربة الاسلاميين الاتراك ويدعو الى الاستفادة منها حيث استطاع الاسلاميون الاتراك الدخول في جو علماني راسخ محمي بالجيش والمؤسسات المالية ولكن طرحهم كان رائعا ومقبولا واستطاعوا من خلال طرحهم المتسامح المعتدل ان يدخلوا في جيب النظام العلماني وان يفرضوا رؤاهم عليه، وهذا اعظم عمل وقد نجحوا فيه لحد الان . لذا فان تجربة حكومة اردوغان اليوم على سبيل المثال هي نموذج الحكم الاسلامي الصالح البعيد كل البعد عن التطرف الديني المنبوذ.وكما مر بنا في فصول الكتاب فلا حاجة لتكرار النص.

كما يدعو سليم الاحزاب كافة اسلامية وغير اسلامية للتنسيق بينها وان الاحزاب الاسلامية منها تحتاج الى تغيير خطابها السياسي والثقافي بما يتناسب والمرحلة.

رابعاً: الشرائع الالهية تُغير لرعاية الانسان

نعم هذا ما قرره سليم فالانسان هو هدف التشريعات الالهية وغايتها ولولا وجود الانسان في الارض كما يقرر سليم لما ارسل الانبياء حتى والتشريعات جاءت بخدمته وحتى عملية النسخ في التشريعات وتغيير الاحكام في الشرائع الالهية لرعاية الانسان ورعاية تطورات حياته من حيث الزمان والمكان. ونمو الخبرات البشرية وتراكمها عبر الايام فتاتي التشريعات الالهية منسجمة مع تلك التطورات لكي لا تعوق مسيرة الانسان باتجاه التكامل والنمو نحو المجد[1].

خامساً: الانسان فوق الاحكام الالهية في نظر سليم

نعم هذا ما تبناه في قوله بما نصه " من مزايا التشريع الالهي التي شهدها تاريخ الانسان الرسالي، انها تخضع للتغيير والتطوير تبعا للتغييرات في النمو الحضاري للانسان ،وتعدد حاجاته وتراكم تجاربه وفي تطور علاقاته الاجتماعية والسياسية، صحيح ان الشرائع ظلت متمسكة بروحها واهدافها المركزية الا ان الصيغ القانونية لهذه الرسالات وتفصيلات تشريعاتها وتكييفها حسب الظروف والحاجات الانسانية عبر الزمان والمكان يختلف من عصر لعصر ومن امة لامة وهذه التغييرات يصطلح عليها في تاريخ الشرائع وتطوراتها بظاهرة النسخ ويذكر على سبيل المثال ان اكل الميتة جائزة اذا توقف عليها حياة انسان 2وبالتالي الانسان فوق الشريعة حسب سليم.

[1]– عز الدين سليم، المعارضة السياسية ، دار الهادي، بيروت، ص98

[2]– المصدر السابق،ص19

سادساً: دلالات الحكومة الانسانية حسب النص الذي ورد عن سليم

وهنا يجب ان نعرف ان الذي اسس لهذه الرؤية اي المفكر سليم قد طالب بتطبيق النظام العلماني التركي وتجربة الاسلاميين الاتراك وهذا واضح من النص الذي اوردناه في الفصل هذا ولماذا حكومة الانسان وهنا يعتقد سليم ان الفرض للاسلام على الناس يساوي الكفر بعينه وهذا ناقشناه فيما سبق.

يقول سليم" أدعو الى اهمية نزع تجربة الماضي من حياة العراقيين كافة وادعو ذوي الخبرة واصحاب الراي وقادة الفكر الى تاسيس حكومة الانسان التي تفتح ابوابها لكل القوى والتيارات وتجد الاكثرية فيها طموحها كما تجد فيها الاقلية مواقعها الحقيقية "[1].

حكومة تحترم الانسان بكل كيانه لا تفرق بين البشر، وتعظم كل ما هوانساني ونبيل ثم ليختار الشعب اية حكومة يريد. وهنا لا مزيد من التعليق الذي يورد حول هكذا حكومة تقوم على اساس الاحترام الانساني للانسان.

---

[1]- شهيد الحرية ،منشور موسمي ،المركز الوطني للدراسات الاجتماعية والتاريخية ، البصرة ،2006، البصرة، ص8 ، نقلا عن ياسر جاسم قاسم، الفكر ، منظمة كتاب بلا حدود، العراق، ط1، 2011، ص82.

الفصل الثاني عشر

دلالة انسانية عز الدين سليم

أولاً: كل صاحب مذهب يراه من منظوره الخاص

ومن هذا المنظور سنتحدث عن جملة محاور تتبين لنا من خلالها وجهات سليم الاصلاحية ومن هنا نؤكد ان كل جهة قد قرأت سليم من خلال ما تؤمن به فالعلماني قراه على انه علماني والسني قراه على انه كذلك والشيعي قراه على انه شيعي وتمت قراءته كمتصوف وهذه القراءات هي دلالة انسانية عز الدين سليم الرائدة وكالتالي:

كان موحدا حتى في اسمه للطوائف الاسلامية وانعكاسات هذا الاسم يقول رشيد الخيون:

فهو وبعد تجريده من الاسم الحركي، عبد الزهراء عثمان فالأول منبوذ عند متشددي السنة والثاني منبوذ عند متشددي الشيعة بعد هذا لم يبق لعبد الزهراء الا التمويه بعز الدين سليم، للمقاربة بين الطائفتين حتى ظنه البعض قطبا من اقطاب الانبار السنية . ومن كلام الباحث رشيد الخيون يتضح جليا رؤية سليم للتقارب بين المذاهب ابتداء من اسمه وانتهاء بعمله.كذلك يقول الصحافي نجاح محمد علي " كنت امزح كثيرا مع ابي ياسين ، واقول له انت شني اي :شيعي وسني في ان ،فاسمك برأي الجهلة يجمع بين نقيضين :عبد الزهراء وهذا يثير حفيظة من لا يفهم معنى الاسم وحب الزهراء عليها السلام واسم ابيك عثمان الخليفة الثالث رضي الله عنه "[1] وانا اقول لان سليم كان انسانا قبل كونه شيعيا او سنياً او مسلماً.

قرأه البعض بانه يركز على الاسلام العلماني على الرغم من تحفظنا على هذا المصطلح فلا يوجد اسلام علماني بل هنالك اسلام وهنالك علمانية وكلاهما مختلفين

---

[1]– نجاح محمد علي ، اني اعترض لماذا قتلوا الرئيس عز الدين سليم ونائبه؟، مقال منشور في مجلة الرسالة .

في المنهج ولكن استطاع سليم بنظر البعض ان يجمع بينهما فكيف هذا ما نظر اليه حميد الكفائي في معرض حديثه عن سليم وقد عاشره لفترة عندما كان ناطق باسم مجلس الحكم العراقي الذي تبوأ عز الدين رئاسته في أواخر حياته. حيث يعتبر الكفائي ، كان النظام الاسلامي الذي يؤمن به اقرب الى النظام العلماني منه الى انظمة الحكم الدينية فهو يؤمن بحرية الفرد في الاختيار في كل الامور ويطبق الاية الكريمة " لا أكراه في الدين" تطبيقا عمليا لا كلاميا ،لم يميز ضد المرأة السافرة رغم اعتقاده بوجوب الحجاب وكان يقول "المتدين الحقيقي لا تخيفه المرأة السافرة او المقتصرة في لباسها "فقوة الايمان في رايه لا تضاهيها قوة اخرى . وهذه النظرة لسليم من قبل الاخرين على انه يجمع بين الاسلامية والعلمانية دلالة النظرة الانسانية التي امن بها سليم وجعل منها منطلقا للتعامل مع الجميع.وبالتالي سليم يطالب بتطبيق حرية الاعتقاد.

كان لا يأبه بتاتاً لان يتسلم المناصب بل كان همه وحدة بلاده والحفاظ عليها يذكر الكفائي في رد سليم على التهاني له على توليه رئاسة مجلس الحكم من قبل الصحفيين في المؤتمر الصحافي الاول له كرئيس لمجلس الحكم وكان الرد "هذا منصب لا يهنأ عليه صاحبه" فهو لم يرشح لمنصب الرئيس بل انتخبه الاعضاء في غيابه عندما كان في زيارة للأردن وعند عودته فوجئ بانتخابه لرئاسة المجلس . وكلام سليم يدلل على انه ما اختار المنصب لاجل المنصب بل اختاره لاجل الاصلاح فهو يحب التصدي لغرض الإصلاح.

كان همه وحدة العراق فقد قال لافراد عشيرة عبادة المجتمعين في نادي العلوية التي ينتمي اليها السني والشيعي "انكم تمثلون وحدة العراق المذهبية والطائفية، فحافظوا عليها واسعوا الى تعزيزها، وبذلك فقط ستتفق مصلحتكم مع مصلحة بلدكم، وليس في فرقتكم مصلحة لكم او للعراق" فقد كان محافظا على مبدأ الوحدة للمجتمع الذي ينتمي اليه اشد المحافظة وفي هذا المجال ينقل السفير بول بريمر في معرض حديث سليم عن الحكومة المؤقتة العراقية يقول بريمر " تحدث عز الدين

بحكمة" من المهم عند تشكيل الحكومة المؤقتة التقليل من حجم المعارضة التي يواجهها مجلس الحكم في العديد من المناطق ،اننا بحاجة الى اشراك كافة عناصر المجتمع العراقي"[1] كما كان يؤمن كثيرا بمبدأ الديموقراطية والتصويت على القرارات في كل شيء حيث يتحدث عنه بريمر في موضع اخر من الكتاب " بقي مجلس الحكم متوترا، وفي 3/ايار/مايو ، اجتمعت وبلاكويل بالرئيس لذلك الشهر عز الدين سليم، وهو مسؤول شيعي واسع الاطلاع وعذب اللسان من البصرة ، وبوصفه احد مؤسسي حزب الدعوة الاسلامية المعارض لحكم البعث نجا عز الدين من العديد من محاولات الاغتيال عندما كان في العراق وفي منفاه في ايران، اجرى عز الدين مراجعة للوضع السياسي واشار الى انه ينوي الدعوة الى لقاء مشترك يجمع بين المجلس والحكومة في اليوم التالي من اجل التصويت على عدة طرق بديلة لاختيار حكومة جديدة ،بما في ذلك توسيع عضوية مجلس الحكم وهذا ما اكد المعلومات المتوفرة لدينا وبدا كما لو كان يقترح علينا القبول بكل شيء او رفض كل شيء وهو الامر الذي سينفر الابراهيمي ويعيده على الارجح الى نيويورك ،دخلت انا وبوب في جدال مع عز الدين وقلنا له بانها فكرة سيئة وتتعارض مع روح الشراكة والمشاورات وهو ما تعهدنا جميعا بدعمه وفي النهاية وافق عز الدين"[2] ويتبين من خلال بول بريمر ان الديمقراطية التي كان يطالب بها سليم المتمثلة بالتصويت تتعارض مع روح الشراكة التي نادى بها بريمر بمعنى ان الديمقراطية اذا طبقها سليم بحذافيرها سوف تبين رأي الاغلبية وهذا ما يجري اليوم بالدول الغربية ولكن بنظر الامريكان ان التصويت عبر الديمقراطية هو فكرة سيئة وانه يجب التخلي عن التصويت لصالح الشراكة . ومن هنا يتبين ان سليم كان ديمقراطيا في كل شيء ولكن الامور تجري بما لا تشتهي السفن.

---

[1]– السفير بول بريمر، عام قضيته في العراق النضال من اجل بناء غد مرجو، دار الكتاب العربي، بيروت ، ت:عمر الايوبي، 2006، ص 445

[2]– السفير بول بريمر، مصدر سابق، ص443

ثانياً: خلاف عزالدين سليم الواضح مع محمد باقر الصدر فيما يخص ولاية الفقيه

عاش محافظا على عروبيته ليس ضمن القومية البغيضة التي نقدها في كذا موقف ممثلة بجمال عبد الناصر وغيره من الاسماء ولكن ضمن رؤيته كونه عربيا يتشرف بالانتماء الى الهوية التي جعلها منفتحة على الجميع فمعيشته في ايران لاكثر من عقدين من الزمن لم تجعله منغمسا لا بالفكر الذي يحملوه ولا بالروح الاعجمية فعاش عراقيا عربيا ولم يتخل لحظة واحدة عن عراقيته بل كافح من اجلها في احلك الظروف واصعب المواقف يقول الكفائي انه اختلف مع كثيرين من رفاق دربه حول العروبة وكان يرى ضرورة استقلال الراي العراقي المعارض لنظام صدام عن الدول الاخرى حتى وان كانت هذه الدول تناصر القضية العراقية وتتبنى موقفا مقاربا لمواقف الوطنيين العراقيين وكان يرى ان على شيعة العراق ان يميزوا انفسهم ومواقفهم عن شيعة ايران فهناك اختلاف في الثقافة والخلفية والقومية والظروف بين العراق وايران، وقد سبب له موقفه المستقل عن الموقف الايراني متاعب كثيرة طيلة اقامته في ايران مع السلطات الايرانية التي اخرجته من البلاد بعد سقوط نظام صدام حسين مباشرة وختمت جواز سفره بعبارة "مغادرة بلا رجعة " "[1] والذي يتبين هذا الكلام الخطير يرى الاختلاف بوجهة النظر الفكرية بين المد الشيعي المتمثل بايران والمد الشيعي المتمثل بروح القبول للاخر بل و اختلافه مع ايران ومرجعياتها الدينية الى انه لا يؤمن بولاية الفقيه بل يؤمن بولاية الامة على نفسها فهو من انصار المشروطة وليس المستبدة وبالتالي يختلف فكريا هو حتى مع محمد باقر الصدر الذي امن بولاية الفقية في حين لا يؤمن بها سليم بتاتا على الرغم من اعجاب سليم بالفكر الذي حمله محمد باقر الصدر ولكنه

---

[1]– حميد الكفائي ،مقال عن الراحل سليم،مجلة رسالة الرافدين.

كان مختلفا معه تماما في قضية حكم الامة فهو يؤمن بالنهج الديمقراطي في حكم العراق بقوله "انا انسان يتبنى الاسلام على المستوى الستراتيجي ولكن في هذه المرحلة نحتاج حكومة انسانية نظام يسمح لنا بالعمل لانه بنظري انه اذا اتينا بالاسلام الان واردنا ان نطبقه فسندمره "[1]. وكما بينا وكما سنوضح لاحقا.

كان يرفض كثيراً اللجوء للمرجعيات الدينية واقحامها بالسياسة وكان يعتبر هذا الاقحام يؤدي الى وجود التفرقة فكان خائفاً على مشاعر جميع العراقيين ومن هنا ينقل لنا هذه الصورة الصحافي نجاح محمد علي "ان ابا ياسين كان يرفض بشدة ما كان يقوم به بعض اعضاء مجلس الحكم من الذهاب علنا الى المرجع السيستاني ،ليأخذوا رأيه، وكان يقول، ان من شأن هذا التصرف ان يدفع بالاعضاء السنة الى التوجه الى مرجعيات خارج الوطن وهذا سيمزق العراق". ويعلق محمد علي على هذا القول بان المفكر سليم كان يؤمن بنظرية لكل مقام مقال وما كان المقام يسمح بمراجعة مراجع الدين الذين ليس لهم علاقة بالسياسة لا من قريب ولا من بعيد وباهمية الا يشعر أهل السُنة انهم لا يملكون ظهيراً" وهكذا كان سليم سليم العقل واليد واللسان حيث يتبين ان عز الدين سليم كان يؤمن بضرورة فصل الدين عن السياسة ضمن حكم البلاد وهذا واضح لرفضه مراجعة مراجع الدين من قبل السياسيين وضرورة ابقائهم ضمن اختصاصهم الفقهي ليس اكثر وبالتالي فالسياسة وعالمها شيء اخر يختلف عن المجال الفقهي الذي هو عبارة عن اجتهادات غير ملزمة.

كان متصوفاً في رؤاه الانسانية وفي ذلك رثاه الشاعر البصري كاظم الحجاج حيث يقول ما نصه" كان المتصوف (ابو يزيد البسطامي) سائراً في الليل، فاستوقفه رجلا سائلا: الى اين مسراك؟ اجاب البسطامي: وجهتي بيت الله، كم من المال

---

[1]– لقاء مع المفكر سليم، مجلة رسالة الرافدين، المركز الوطني للدراسات الاجتماعية والتاريخية.

معك؟ اجاب البسطامي:مئتا دينار. قال الرجل: انا رجل كثير العيال ،ولا دينار لدي ..فطلب المتصوف من الرجل ان يقف ثابتا لا يتحرك، فوقف الرجل ثم صار البسطامي يطوف حول الرجل، حتى اكمل سبعة اشواط، من الطواف ثم اخرج ماله واعطاه للفقير وعاد الى اهله حاجا، ويعلق الحِجاج على هذه الحادثة ان هذا هو دين الخاصة وهذه هي عبادتهم، الكعبة حجر ،والانسان أثمن من الحجر ، وأثمن عند الله من كل شيء ،عار على الخاصة ان يجمعوا المال وان كانت نيتهم ان يحجوا به عار ان يحجوا بالمال وحولهم جائعون دين الخاصة ان يبنوا مصنعا تعتاش منه العائلات وان يبنوا مدرسة يتعلم فيها الأطفال الفقراء، أهم من ان يبنوا دار عبادة او صلاة، ما دام الناس قادرين على ان يصلوا في بيوتهم ،ان كانت لهم بيوت، ان نبني لهم المستشفيات والمستوصفات لان انقاذ حياة انسان اولى عند الله من انقاذ انفسنا من النار في الآخرة، ان نصنع للناس جنة على الارض ،اولى عند الله وعند الناس من ان نضمن لانفسنا جنة في الآخرة ، وهذا هو مشروع عز الدين سليم كما عرفته وهذا هو دينه، الآخرة مضمونة من الدنيا والسماء مضمونة من الارض وليس العكس فانا اضمن ان يرضى عني الله اذا انا أرضيت الناس ، دين العامة ان يرضوا من أجل خلاصهم من النار، ومن اجل طمعهم بالجنة ،فهو دين الفرد، ودين الخاصة ان يعمروا الارض ويسعدوا الناس فهو دين الجماعة ،هذا هو دين سليم ومن اجل هذا الدين تآمر الجميع عليه، لانه كان يريد بناء الإنسان لا بناء الجامع، أعني بناء الإنسان قبل الجامع وقبل الحسينية لقد كان يهتم بايصال الخبز الى الانسان اكثر من اهتمامه بالشريعة والفقه"[1]، والملاحظ لكلام الشاعر الحِجاج يتبين له بوضوح قراءة الحِجاج له على انه متصوف وقبلها قرأه نجاح محمد علي على انه سياسي يبعد الدين عن السياسة وقبلها قراه الكفائي على انه إسلامي

(1) كاظم الحجاج، رسالة الرافدين.

علماني وهكذا وبسبب انسانيته كل قرأه من وجهة نظره ، بل قد قرأه رشيد الخيون ونجاح محمد علي على انه سني كذلك.

ومن تسامحه ان من يحسبون اليوم على انهم أعداء للعملية السياسية كان قد امتصهم سليم ومن ضمنهم مشعان الجبوري الذي يعتبر انه كان ياخذ على المفكر سليم نظرة خاطئة ولكن وبعد معاشرته سياسياً تبين له رغبته الشديدة في تقبل الاخر وتبنيه لفلسفة المصالحة الوطنية الشاملة واشراك الجميع في المشروع الوطني ورغبته في الصفح عن جلاديه بل انه احد الذين ايدوا وبقوة مقررات مؤتمر اربيل، والتي طالبت بأعادة النظر بقانون اجتثاث البعث، لقد ترك في نفس هذا الرجل المعارض للعملية السياسية القناعة بان عليه إلاَّ يحكم على الآخرين من خلال ما يقال عنهم وانما يجب ان نقترب منهم ونعرفهم عن قرب حتى وان صوروا لنا على انهم خصوم شديدون ويذكر مشعان انه وفي الليلة التي سبقت استشهاده كان مدعوا على العشاء في دمشق عند عزت الشهبندر، وكانا يتحدثان عن الوضع السياسي في العراق وعن الاشخاص الذين يمكنهم ان يمثلوا رمزاً توافقيا لمكونات الشعب العراقي وعندها سألني الشهبندر عن الشخص الذي تنطبق عليه هذه المواصفات برأيي ،فقلت له انني ارى ان عز الدين سليم واحد ممن تنطبق عليه هذه المواصفات "وهذا يدلل على ان رجلاً معارضاً للعملية السياسية كمشعان كان ينظر الى سليم من زاوية انه رجل وحدة وتسامح واعتدال.

وهذه قراءة اخرى يقراها بها المعارضون تجسد انسانية سليم.

وجودية المفكر سليم:

فسليم هو داعية اخلاقي وليس ديني فالاخلاقي لا ينتمي لمعبد لذا فجمع شتات البشرية على اخلاق واحدة وليس معبداً واحداً شعاره علموا الناس القيم وليكن ما يكن شكل معبدهم، فعلي عينه بلا مذهب اطلاقاً شيعته من اسقط عليه مذهباً وإلا فهو نفسه الذي كان يتمنى الموت كمداً من أجل يهودية سمع انه سلب حجلها في

الانبار كما روينا فيما سبق عن عزالدين سليم الذي هو نفسه دون مذهب فمذهبه هو الإنسانية، ولو ان شخصاً مسلماً غير علي سمع بهذه المسيحية كما يقول عبد الرزاق الجبران لقال لا بأس بسلبها في حين ان علياً يتمنى ان يموت كمداً لأجلها.

ومن وجودية سليم كذلك إيمانه بالشرائع تتعطل في سبيل الإنسانية وفي ذلك يقول "ان الشرائع السماوية تتخلى عن بعض ضوابطها أحياناً من أجل مصلحة الإنسان" اي ان الإنسان أولاً ثم الدين.

وجوديته تتاكد كذلك من خلال ايمانه ان الكفر كمفهوم ليس بالإسلام بل فرض الإسلام على الناس هو الكفر بعينه.

لذا ومن هذا المنطلق " فمفهوم الكفر في الجمهورية ليس هو التخلي عن المعبد الصحيح وطاعة معبد آخر أو الهٍ آخر، وانما هو التخلي عن القيم الانسانوية وطاعة القيم المتوحشة لاغير، ليس التخلي عن الآله – كما يرى سليم– وانما التخلي عن الإنسانية لأن قيم الله والوهيته هي الإنسانية عينها، بل صفات الله هي صفات الإنسانية، ولا وجود لأي لاهوتية في الصفات، لكن يمكن ان توضح بأن صفات الالوهية هي ذروة الصفات الإنسانية تلك التي تحل باشخاص قلائل أو مواقف قليلة في التأريخ سمتها الشعوب بالمثالية، واعتقد ان كلمة الله نفسه في القران ((قتل الانسان ما اكفره))، صريحة جداً في ذلك، فهنا الكفر، لم يرتبط بنفي ونكران الله، وانما بقتل الإنسان، القتل للإنسان جعله كافراً وليس النفي لله، قتلت الإنسانية وليس الالوهية، لذا، مع الله، الالحاد به هو الالحاد بالإنسان فحسب"[1].

(1) ينظر، عبد الرزاق الجبران، لصوص الله أنقاذ اليوتوبيا الاسلامية، بيروت، ط1، 2012، ص 13 .

ومن هنا فسليم يطبق ما جاء عن رسول الإسلام من ان حرمة دم الإنسان افضل من الكعبة نفسها، هذا ما ورد في حديثه ان حرمة دم المسلم عند الله أعظم من يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا.

النظرة الإنسانية المتفردة لديه والتي أدت الى مفهوم حكومة الإنسان والتي ناقشناها في الفصل السابق.

خاتمة

المراجع

ـ العقل الايماني – مصداقة الوعد بالخلاص – حسن ابراهيم احمد– طبعة دار المدى 2000م

ـ محمد باقر الصدر رائد حركة التغيير في العراق، عبد الزهراء عثمان محمد،ـ المركز الوطني للدراسات الاجتماعية والتاريخية ،البصرة ، ط2، 1425

ـ صحيفة الزمان، العدد 2843، 11/تشرين الثاني/2007م، ملحق الف ياء.

3- عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة

4- جميل صليبا: المعجم الفلسفي

5- مالك بن نبي: مشكلة الثقافة

مالك بن نبي: ميلاد مجتمع.

ـ مالك بن نبي: وجهة العالم الإسلامي.

ـ شروط النهضة، مالك بن نبي، ت: عمر كامل مسقاوي ،عبد الصبور شاهين، دار الفكر ، ط3، 1969،

ـ ياسر جاسم قاسم، الفكر، الجزء الاول، منظمة كتاب بلا حدود ،الشرق الاوسط،بغداد،ط2011،1

ـ محمد فؤاد شكري ، بناء دولة مصر محمد علي.

ـ ادوارد سعيد، الاستشراق،المعرفة ،السلطة،الانشاء، ت:كمال ابو ديب، ط2 مؤسسة الابحاث العربية ،بيروت، 1984ـص89.

ـ صورة الإسلام في الآداب الغربية ،مجلة حوليات التراث ،العدد 3، 2005

ـ مقابلة اجراها مراسل اذاعة BBC البريطانية مع عز الدين سليم في اب 2003.

ـ عز الدين سليم، دوافع النهضة الحسينية، قراءة جديدة، مؤسسة الشهيد عز الدين سليم الثقافية، بغداد، 2005، ص11

ـ مالك بن نبي، من أجل التغيير ، سلسلة مشكلات الحضارة، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط5، 2006، ص16.

ـ صحيفة الشهادة، العدد 77، 1984/9/25م،

ـ الشهادة، العدد 79، 1984/10/9م.

ـ صحيفة الشهادة ،سليم، العدد86، 1984/11/27م.
ـ الشهادة، العدد88، 1984/12/11م.
ـ عز الدين سليم، مسؤولية الحركات الاسلامية، مجلة المنطلق، العدد23، كانون الثاني،1984،لبنان،
ـ الشهادة، 1987/3/10، العدد 199
ـ الشهادة، العدد 200، 1987/3/17م.
ـ الشهادة، العدد93، 1985/12/15م.
ـ الشهادة، العدد94، 1985/1/22م.
ـ سليم، دراسة بعنوان، دور المفكر في المجتمع الانساني، رسالة الرافدين
ـ سليم، صحيفة الشهادة، العدد 99، 1985/3/26م،.
ـ الشهادة، العدد 106، 1985/4/23م،
ـ مجلة العربي، العدد 629 ، الاسلام والمسلمون وتحديات القرن الواحد والعشرين، د.محمد كامل ضاهر، ابريل/2011.
ـ الشهادة، العدد 108، 1985/5/7
ـ الفكر الاسلامي، عز الدين سليم، ج1، مؤسسة البلاغ، ط1، 1987، ص 26
ـ "السلوك الاجتماعي للمجتمع النهضوي"، تاليف: ياسر جاسم قاسم، كتاب غير منشور.
ـ الشهادة ، العدد 112، 1985/6/4م.
ـ الشهادة ، العدد 122، 1985/9/3م.
ـ من حصاد التجربة، عز الدين سليم، العارف للمطبوعات، بيروت، ط1 2010.
ـ الشهادة، العدد154، 1986/4/22.
ـ الشهادة، صحيفة، العدد 163، 1986/6/24م.
ـ الشهادة، صحيفة، العدد 166، 1986/7/15.
ـ الشهادة، العدد 182، 1986/11/4م.
ـ الشهادة، العدد 189، 1986/12/30.
ـ نهج البلاغة ، ج3.
ـ الفقر دراسة وعلاج، عزالدين سليم، دار التوفيقية، الأزهر.

ــ اولريش شيفر، انهيار الرأسمالية أسباب إخفاق اقتصاد السوق المحررة من القيود، ت: د.عدنان عباس علي ،الكويت ، 2010.
ــ الفقر دراسة وعلاج، عز الدين سليم، مصدر سابق.
ــ من عهد الامام علي الى مالك الاشتر واليه على مصر ، نهج البلاغة، صبحي الصالح، ، ط1، 1967، بيروت.
ــ الفقر دراسة وعلاج، مصدر سابق، ص31.
ــ الامامة في الرسالة الاسلامية، عبد الزهراء عثمان محمد، ط1 1994م.
ــ صادق جلال العظم في كتابه ذهنية التحريم ط2-2004، دار المدى.
a lalande: la raison et les norms pp16-17 , 187, 228 hachette paris 1963
ــ حديث الغدير، عبد الزهراء عثمان، طبعة دار الهادي بيروت – لبنان 2004م.
ــ الموطأ، مالك بن انس ج2، طبعة مصطفى البابي.
ــ نهج البلاغة
ــ مجلة الباحث العدد 3 السنة 1974م، وزارة الاوقاف المغربية.
ــ تكوين العقل العربي – نقد العقل العربي، الدكتور محمد عابد الجابري، طبعة 1984م، بيروت ــ لبنان.
ــ صحيفة الشهادة، العدد 77، 1984/9/25.
ــ الشهادة، العدد 79، 1984/10/9.
ــ صحيفة الشهادة، سليم، العدد86، 1984/11/27م.
ــ الشهادة، العدد88، 1984/12/11م.
ــ الشهادة، 1987/3/10، العدد 199
ــ الشهادة، العدد 200، 1987/3/17م.
ــ الشهادة، العدد93، 1985/12/15م.
ــ الشهادة، العدد94، 1985/1/22م.
ــ صحيفة الشهادة، العدد 99، 1985/3/26م.
ــ مجلة العربي، العدد 629 ابريل/2011.
ــ الشهادة، العدد 106، 1985/4/23م.
ــ الشهادة،العدد 108، 1985/5/7.

ـ الشهادة ، العدد 112، 1985/6/4م.
ـ الشهادة، العدد 122، 1985/9/3م.
ـ من حصاد التجربة، عز الدين سليم، العارف للمطبوعات،بيروت، ط1 2010.
ـ الشهادة، العدد154، 1986/4/22
ـ الشهادة، صحيفة، العدد 163، 1986/6/24م
ـ الشهادة، صحيفة، العدد 166، 1986/7/15
ـ الشهادة، العدد 182، 1986/11/4م.
ـ الشهادة، العدد 189، 1986/12/30.
ـ الفقر دراسة وعلاج، عز الدين سليم، دار التوفيقية ،الأزهر.
ـ عز الدين سليم، المعارضة السياسية في تجربة الامام علي ، دار الهادي، بيروت، ط1، 2003.
ـ عز الدين سليم، مكانة الانسان في الاسلام، دار الكتاب، بغداد، 2005.
ـ عز الدين سليم، اطروحة حكومة الانسان، المركز الوطني للدراسات الاجتماعية والتاريخية، البصرة، ط1، 2010.
ـ اولريش شيفر، انهيار الرأسمالية أسباب إخفاق اقتصاد السوق المحررة من القيود، ت: د.عدنان عباس علي، الكويت، 2010.
ـ صادق جلال العظم، ذهنية التحريم ط2–2004 دار المدى
ـ د. محمد عابد الجابري، في نقد الحاجة الى الاصلاح، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2005.

المؤلف في سطور:

ياسر جاسم قاسم

مواليد البصرة الفيحاء 1982

بكالوريوس هندسة

كاتب وباحث في المجال الفكري الثقافي

1- حب فقط / مجموعة شعرية /البصرة 2004

نوري جعفر رجل النهضة والاصلاح الجزء الاول /سوريا 2011

الفكر ج1/ منظمة كتاب بلا حدود/2011

التنمية وواقعها الامني/شبكة الاعلام العراقي/2013

صدر له مع اخرين:

علي الوردي والمشروع العراقي/دار مصر مرتضى / بغداد/2009

البصرة صراع المركزية واللامركزية/ معهد الدراسات الاستراتيجية /بيروت/ 2010

الدكتور عناد غزوان/ شهادات ووثائق/دار دجلة عمان/2012

سيصدر له الكتب التالية:

مفهوم العقل في البصرة من خمسة اجزاء

مصطفى جمال الدين الفكر وقوة الشعر

البريكان شاعر الانسانية والفلسفة

اليات تحرير الفكر وتوجيهه نحو التنوير

السلوك النهضوي للمجتمع المتقدم

عهد علي بن ابي طالب لمالك الاشتر، قراءة سايكولوجية.

البصرة تراث شعبي غني

الحداثة والتنوير تنطلق من رؤى فكرية نقدية.

النص وازمات المجتمع .قراءة فكرية في النص القراني والحديث .

دراسات في الفكر النهضوي الحديث.

عبد الرزاق حسين رؤى وشعر متفاعل مع الانسانية

علي الوردي رجل النهضة والاصلاح

نماذج مختارة في النقد الادبي

المرأة وكيف السبيل الى نهضتها

نوري جعفر رجل النهضة والإصلاح الجزء الثاني .

ويكتب بعد السيرة لمراسلة المؤلف :

EMAIL: JASMYASR@YAHOO.COM

هاتف: 07801752654